
بيت المقدس
أطفال
في محاضن الجهاد
أم عمارة المهاجرة
تقديم الشيخ
عمر محمود (أبو قتادة الفلسطيني)



أطفال في محاضن الجهاد

أم عمارة المهاجرة

تقديم الشيخ

عمر محمود (أبو قتادة الفلسطيني) – حفظه الله –



بيت المقدس

الفهرس

❖ مقدمة الشيخ عمر محمود (أبو قتادة الفلسطيني) – حفظه الله –:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين،

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

في رحلة الحياة الجهادية تسرق الأخبار الكبرى الأخبار الصغيرة، فالأخبار الكبرى كالنصر والهزيمة والتقدم والانحياز، وأعداد القتلى والشهداء، ونوع السلاح وتكتيك الحرب.. وغير ذلك، هذه هي ما يسرق العيون ويشغل الباحثين ويسجل في طروس التواريخ، وتنزوي خجلة الأخبار التي تعيش في زوايا الحياة مع النفس والبيت والأسرة، فالحروب أخبار سلاح ورجال، لا أخبار أمهات وأطفال وضعاف، وهذا لعمر الحق ظلم لجوهر الوجود وهو الإنسان، ذلك لأن الحرب والقتال مظهر مادي صارخ مليء بالعنف والصخب، في داخله رجل يحس ويشعر، وبيت يتركه وراءه فيه امرأة مع أطفالها، هم بعد مدة عدة الحياة ورجال الزمن القادم.

هناك جنرالات أخرى في الحروب يعرفها إنسان الحرب نفسه أكثر من غيره، وتصعر خد من لم يعش ألمها بلحظاتها الدقيقة والبطيئة بطء ليل المتألم السهران.

من هذه الجنرالات العظمى : الجنرال زمن، وهذا الجنرال هو أقوى أدوات الحروب لمن أتقن المراس معه، ومن المعلوم أن المسلم هو من أكثر الناس استخداما له حين يهتدي بهدي القرآن لأن عدته الصبر والتفرس والاستعداد الدائم (خذوا حذركم).

مع الجوانب الخفية لعالم الجهاد تبرز معالم صورة المرأة العظيمة ، هذا الجنرال الخفي الذي يستحق نسبة كل انتصار له، ذلك لأنها تعيش الصبر والترقب والانتظار بقسوة وألم، لا يمكن لغير زوجة المجاهد وأبنائه في يومنا أن يعرفوا عمقه وقساوته، ذلك لأن هذا الزوج يعيش الغربة ، هذه الغربة التي تفقده الأمان والراحة والاستقرار، فكيف وهو فاقد لذلك كله أن يسبغه على من يعول من أهل بيته!

فبالله عليك تصور حال هذا البيت المأمول منه أن يصنع سكنا كيف هو مع واقع الغربة وترقب الأخذ والقتل والسجن في كل لحظة!

تسجيل موقف هذا الجنرال الذي يحفظ بيضة المجاهد نفسه كما يحفظ المجاهد بيضة الجهاد دين في عنق القادرين على التقاط هذه النسمات والمواقف العظيمة لأمهاتنا وزوجاتنا وأطفالنا، ففي ذلك بعض الوفاء والتقدير وشكر من يستحق الشكر(ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله).

لقد آمنت وأنا أراقب رحلة المجاهدين قتلا وسجنا وتطوافا وترقبا أن المرأة في هذه الرحلة هي الأعظم والأكبر والأسمى منزلة، تعض على الجمر بلا ضجيج ولا صراخ ولا صخب، تطوي ألمها مع أطفالها لتظهر مع كل صباح بسمة تبذل أشد الوسع لتكون حقيقية من أعماقها.

لقد رأيت هذا ولاحظته في كل بيت ومع كل أسرة، ولست مستمتعا في هذه الحياة إلا مع تأمل هذه المواقف في داخل بيوت أسر المجاهدين، مع أن تسجيلها ما زال خجلا ضعيفا لا يرقى لعشر معشار واقعها.

مع هذه الحياة التي يقوم عليها جنرال حنون، له قلب أصلب من الحديد لكنه أرق من النسيم يجمع بين هذين الحدين بحذق بالغ لا يقدر عليه أعظم الحكماء، مع هذه الحياة يبرز جنرال زمن ليدرب أطفالا هم اليوم قطع لحم ضعيفة، لكنهم مع هذا الزمن هم عدة الجهاد غدا، وهم رجاله وأهله وأهل الرفعة فيه.

نحن في أرضنا، وهم وافدون، ونحن وراءنا جدر هذه الأمهات العظيمة، فكل رمح يكسر يسقين من أرواحهن رماح، غيظ العدو بإذن الله.

هذا جانب من جوانب المعركة يعرفه خصومنا، وبذلوا في ضرب أدواته الكثير من الجهد والعرق، ونشروا حوله شوك المعاصي والخنا والدياثة، لكن صنع الله لغيب ينتصر فيه دينه أقدر وأقوى.

فمن المهم أن يلتفت له رجالنا وقادتنا، ليس لشيء إلا من أجل دخولهم في باب الأجر العظيم، وإلا فصناعة الله قائمة.

هذا الكتاب يلفت نظرنا لهذين القائدين العظيمين: المرأة والوقت، فالمرأة هي أعظم قواد معركتنا هذه بصبرها واحتسابها وصمتها ودر ثديها وبركة رحمها، وأما الوقت فهو معنا لأننا في أرضنا وهو من ينجب لأعدائنا خصوما أشد من خصومتنا وحكماء علموا سر الحياة أكثر منا، عاشوا في ظروف الجهاد وحياة الجهاد، ومنذ لحظاتهم الأولى وهو يطرق مسامعهم ألفاظ: الحكم بما أنزل الله، الطواغيت، الشهادة، الجهاد، وهم يعيشون بلا خوف من صورة عسكري تأله في زمن الخنوع، حيث يراقب أكثر من مراقبة الناس لربهم.

إنهما يصنعان الأحرار، وهو وعاء التوحيد والجهاد.

هذا الكتاب ممتع مع هذين العظيمين، ملأ بعض الفراغ الذي نحتاجه، ونبه بحكمة وسكون جناح لأخبار زوايا النسيان في حياة يشغلها أخبار الميادين وصخبها.

جزى الله الكاتبة الأم والأخت خير الجزاء ونفع بكتابها تحريضا وشكرا والله الموفق.

أبو قتادة

❖ المقدمة:

إن الكلمات للتتزاحم والأفكار للتتدافع والعبرات لتعتصر ألما في القلب، حين أستجمع حروفي وهمتي للكتابة عن جيل منسيّ وطرف من الأمة مخفيّ، قد غفل عنه البشر ولم يغفل عنه ربّ البشر.

قوم سكنوا في قطع من الأرض بعيدة عن كل ألوان المغريات الدنيوية وصخب الحياة اليومية ولكنهم ألفوا أزيز الطائرات المعادية وتسللات الجواسيس والمرجفين الباغية.

كم هو ثقيل الحديث عن تلك الأعشاش الدافئة التي تستضيئ بنور الجهاد، كم هو مهم تسليط الضوء على أمل عظيم لأمة الإسلام يرقب فجر الغد المنتصر ويجمع لأعدائها جمعا.

قد أقبلوا على اختلاف أصولهم وألوانهم يجمعهم حب الإسلام والجهاد .. مخبتين إلى الله موقنين بوعده الحق .. يتقربون لربهم بأموالهم وأنفسهم.

أخذوا بوصايا من سبقهم وأقبلوا في تحد لكل الجبابرة في الأرض يقيمون فرض الجهاد العظيم، سائحين في اليابسة، مغتربين عن ذوي القربى، مدركين تمام الإدراك أن ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا.. متوارثين ذلك القسم التليد، "نحن الذين بايعوا مُحَمَّدا .. على الجهاد ما حيينا أبدا".

أكتب اليوم عن جانب قلّما يكتب عنه العارفون إما لانشغال أو لغفلة! ولكنها فرصة سنحت فلم أحبذ تضييعها، وأقبلت أستغلها لأوثق تاريخا، وأناقش هموما وأقدم حلولا وأسامر قلوبا قد استوحشت غربة الطريق – ربما- لعلي أخرجها قليلا من ذلك الركن المنسي في ذاكرة العالم.

إننا بحاجة لأن نبسط تفاصيل همومهم ومشاغلهم لأنها جزء من مسيرة مجد هذه الأمة، ولأنها جزء من مستقبلها بلا شك، ولأنني أرى كما يرى المبصرون، أنها خبرات وتجارب وجب توثيقها لتنهل منها أجيال مقبلة للاعتبار والانتفاع .. ذلك أنها مقبلة على ميدان الجهاد والمواجهة الحاسمة، راغمة أو راضية.

فنحن نبصر مشهد المستقبل بنور من الله، كما وصفه لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، نبصر عند الأفق غبار الملاحم وقد التحمت الصفوف بين فسطاطين لا ثالث لهما، فسطاط آمن بالغيب وأقبل يحقق وعد ربه الحق وفسطاط كفر بالله وأقبل مستكبرا ليتجرع مصيره الحق.

فلا يجادل أحد في أن طغيان الاستبداد والظلم غدى في تصاعد وازدياد، وأن مصالح الغرب الكافر قد تدافعت في نظام دولي أوشك على الانهيار، قوى تتهاوى وتتغير مواقعها ونبوءات النبيّ تتوالى وتتحقق أخبارها.

هناك في ضوء ذلك المشهد سيقوى صوت الجهاد وصفّه، وسيقبل المسلمون لعزهم وقدرهم، وإلا فموت ذلة تحت حوافر خيل الكافرين الزاحفين لديارهم.

لقد جمعوا جمعهم وكذلك جمعنا لهم، فمساكين أولئك الذين لا زالوا يؤمنون بعدالة دولية، وتحقيق أحلام ديمقراطية .. من غرّتهم أمم دولية وقوانين كفر عالمية، وإن غفلوا هم عما نراه واضحا جليّا في طيف المستقبل، فإن اليهود لم يغفلوا عنه وقد كرسوا جهدهم في تلقين أبنائهم واجباتهم أمام ما ينتظرهم من مواجهة مع المسلمين .. نعم لقد آمنوا بها فكانوا الهرمجديون.. ونسيها قومنا فكانوا الغافلون!

إن المؤمنين بالغيب، أهل الإيمان والجهاد، يعلمون يقينا أن النصر ستسطره أيديهم ودمائهم وأيدي ودماء من يخلفهم من أجيال.. لذلك لم يحملوا إلا همّ الاستجابة لنداء الله ورسوله – ﷺ– ولم يثني عزمهم طول الطريق ولا مشقة المسير، قال تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ [النساء _84].

وفي ذروة هذا الالتحام والتدافع، لن نغفل عن التذكرة والتحريض والإعداد ، خاصة وقد أبى أبناء ملتنا إلا الانجرار خلف تخاريف الغرب الكافر ونسوا أو تناسوا أن ما كان فهو كائن وأن مصيرنا المواجهة لا غير.. وكيف نغفل عن أن الله ناصر دينه ومعز أمة نبيّه ومخزي الكافرين ومستخلف الصالحين في أرضه الذين لم يسكنوا لغير الله. وصدق سهل – رحمه الله– حين قال: "حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله".

ولهذا ولكثير من الأسباب الأخرى لا تخفى على ذي لبّ، أدون هاهنا تجارب ندر الحديث عنها أو طرحها في صفحات الكتابات الجهادية والإسلامية.

أكتبها من قلب محاضن الرجال ومصانع جيوش القتال.. من قلب كل ثغر جهادي وعلى لسان كل مرابط مجاهد.. بل كل أسرة مرابطة مجاهدة، عن فلذات أكبادنا أتحدث، وحملة الراية من بعدنا أتبسط.. جيل التمكين والخلافة في الأرض.. جيل حدثنا عنه رسول الله - ﷺ- فبشرنا به.. فاتحا ومنتصرا.. ووصفهم لنا وقد عرف أسماء آباء كوكبة من فرسانهم.

فعلى الله توكلت وبه أستعين لعلي أقدم باكورة خبرات وتجارب تنفع المقبلين على درب أوله شوك وشدة.. وخاتمته مسك وجنّة.

فاللهم انفع به ..

أم عمارة المهاجرة

❖ حياة الهجرة والجهاد:

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة_ 218].

وقال أيضا سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42) ﴾ [النحل].

لعل عنوانا اقترن بـ"الهجرة والجهاد" يبحر بقارئه البعيد عن أراضي الرباط، إلى اعتقاد أن الموضوع لا يعنيه ولا يمت لواقعه بصلة، ولكنه لو تفرس ما بين السطور، لعلم أن الجهاد اليوم قد طرق باب كل صادق مؤمن بفرضيته، وأنه وإن لم ينفر لساحات الرباط إلا أنه مرابط في بيته وعلى ثغره، ذلك أن المواجهة بين الحق والباطل غدت في كل ساح.

فما سأخطه من وصف هاهنا لحياة الهجرة والجهاد، لا شك أنه سيحمل بعض صفات مشتركة مع كل حامل لهمّ نصرة الدين .. فالغرباء مشتركون في آمالهم وآلامهم وإن اختلفت ملامحها وصفاتها وتباعدت أراضيهم.

وهكذا تعيش اليوم عائلات وأسر للمجاهدين في ثغور الإسلام مرابطين، منها من ضاقت عليها الظروف الأمنية لدرجة حرمت فيها كل حركة أو حريّة، ومنها من

استمتعت ببعض المرونة في الحركة والعيش، ومنها من اضطرت أن تستخفي بين الناس ولكنها تحمل همّ حفظ جيل يتربى بين أكناف التربص والخطر.

بعضها لا تعرف الاستقرار ولا تعرف التملك.. تشق المسافات البعيدة وتسافر في أراضي وعرة قاسية لم تطأها إلا قلة من أقدام البشر.. ترحال علّمهم كيف تكون أرض الله واسعة وكيف تكون الهجرة فرجا ومكرمة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء_ 97].

بيوتهم بسيطة زاهدة، لا يملكون إلا القليل من المتاع الضروري لحياتهم، ذلك لتسهل حركتهم وتنقلهم عند رصد الخطر أو لظروف العمل، ولأن جلّ مداخلهم تضخ في الإنفاق على الجهاد .. تتفاوت مستويات المعيشة بين العائلات المجاهدة أنصارا كانوا أو مهاجرين بحسب الثغر وطبيعته وبحسب الزمن وخصائصه، ففي بعض البلاد لا يصعب فيها على المجاهد إيجاد مأوى لائق بأهله يوفر فيه الكهرباء والماء ومستلزمات الحياة اليومية .. ولكن في بعض الثغور فما أشبهها بحياة الصدر الأول من الاسلام، بيوت لا تعرف من التكنلوجيا إلا الهاتف الجوال أو الراديو.. الطبخ فيها على الفحم والشرب فيها من البئر.. وكما أسلفت فهذه تتغير بحسب تغير الثغر وظروف الرباط، وعند توسع سيطرات المجاهدين يكون هناك فرصة أكبر لتوفير معيشة أسهل .. ولكن في الخلاصة حياة الهجرة والجهاد، حياة تنقل وبساطة، لا تتكلف الحمل الثقيل ولا تركن لوضع أو أرض ما.. فهي حياة عابري سبيل بمعنى الكلمة.. وترضى فيها الأسر بما قسمه الله لها وهي سعيدة مكتفية.

ولعل من أبرز ما يميّز هذه الحياة أن أطفال المجاهدين يولدون في هذه الظروف ويقبلون على الحياة في هذا النمط من اللااستقرار واليقظة الدائمة.

وبما أنهم محور حديثنا في هذا الطرح فإنهم يحرمون غالبا من التعليم المتواصل والانتساب للمدارس المنتظمة، وإن وجدت يتخلل دراستهم الانقطاع وهذا أول تحدي يواجه هذه الشريحة المهمة في أمتنا خلال مسيرة الرباط والجهاد.

كما لا تتمكن الأسر المجاهدة من أخذ حريتها التامة في التواصل أو الانفتاح مع كل ما يجاورها أو يقربها .. فهي في حيطة وحذر.. هي في رباط وجهاد.. هي في جمع وإعداد... وفي ظل هذه الأجواء يكبر الصغار.

لا يختلف الأنصار والمهاجرون كثيرا في طبيعة حياتهم اليومية، فغالبا ما يعرف كلاهما الشدة والزهد، وإن كانت ظروف الأنصار أقل صعوبة في بعض النواحي كناحية التعليم للأطفال فهم يستطيعون ارتياد مدارس محليّة كونهم لا يلفتون الانتباه باختلاف لغتهم أوهيئاتهم أو أشكالهم.. كما أنه يسهل تخفيهم في أي وسط قروي أو مدني كونهم من أهل البلاد، وإجمالا لا يعرف الأنصار القائمين بفرض الجهاد تغييرا كبيرا في بيئة تربوا فيها واعتادوا نمط العيش فيها بما في ذلك عادات الطعام أو اللباس أو غيره، ولكن المهاجرين عادة هم من يتحمل القسم الأكبر من التغيير الذي طرأ على حياتهم، فهي هجرة بمعنى الكلمة، يحرمون فيها الأهل والأقارب ونمط الحياة المعتاد، وقد يحرمون تعليم أبنائهم في مدارس منتظمة وأغلبهم يعيش تحت ظل ظروف أمنية محددة، فتستوحش النفوس في الديار الأبعد

من حيث المسافة واللغة والتقاليد عن المعتاد عليه في البلد الأصل، ولا يكاد مهاجر ينسى شوقه وحنينه الجارف لأهله وبلده.. كما وصف ذلك زهير بن أبي سلمة حين قال:

ثلاث يعز الصبر عند حلولها ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها وفرقة إخوان وفقد حبيب

ولكن لذة بحث الأجر تنسي درجة المشقة، وكذلك أجر الهجرة على قدر حجم الغربة.. فطوبى للصابرين.

إذا عناها كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

على طرف موازٍ، فما من مهاجر إلا وسجل ذكريات رائعة له مع إخوانه الأنصار، ووقع في قلبه إحسانهم وكرمهم وإيثارهم ولو كان بهم خصاصة، وجد فيهم الأخوة والسند، لقي عندهم النصرة والإيواء.. وكم من قصص يصعب حصرها أو سردها لمواقف المحبة والتعاون بين الأسر المجاهدة من أنصار ومهاجرين يعيشها هؤلاء المرابطون اليوم على ثغور المسلمين، تعكس روعة تلك العلاقة السامية التي ربطت هؤلاء المسلمين ابتغاء مرضاة الله وفي سبيل الله، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا.. مواقف السخاء والجود والخدمة لا يمكن أن تفيها الكلمات حقها ولا التعابير كنهها.. إنها مواقف يقف الصمت خاشعا لنبل أصحابها وصدق إيمانهم كما نحسبهم.

وعلى صعيد آخر فإن حياة الهجرة والجهاد تعني أن الأطفال سيشاهدون الطائرات المتربصة ويعرفون معنى المطاردة والخطر منذ سنّ مبكرة وقد يعيشون القصف حيّا ترمقه أعينهم الصغيرة التي لا تفهم شيئا مما يدور حولها إلا أن هناك من يتقصد قتلهم.. هذا إن كانوا يفقهون ماذا يعني الموت!

يعايش أطفال المجاهدين صور القوة والعدوان، يشاهدون جموع المجاهدين يتجهزون للغزو ويكبرون ويهللون في الظفر، ويشاهدون أيضا هجمات الأعداء بلا رحمة، وقصفهم بلا رأفة، ويعرفون أنهم معنيون بكل ما يجري وإن لم تعقل بعد عقولهم تفاصيله.

في هذه الأجواء تتكاثر أسئلة الأطفال، لماذا يقصفوننا؟ لماذا لا يواجهوننا؟! إنهم الجبناء، ولا يتعدى تصنيف البشر على لسانهم الصغير بين "مسلم " و"كافر" ويبقى أسمى أحلامهم حمل السلاح ولبس الكفاح والخروج مجاهدا في سبيل الله.

ألعابهم حربية، وأحلامهم حربية ونقاشاتهم حربية بل حتى نكتهم وطرائفهم حربية، ذلك أنهم يعيشون في أجواء المواجهة باستمرار ويتأثرون بآثارها بلا استثناء، وإن مرت عليهم أوقات هادئة هانئة فلا زالوا يترقبون خلالها أي نذير خطر، وتأبى طائرات الكفر إلا أن تنبه حسّهم الطفولي الفطري في أن المواجهة لم تنته بعد.

في هذه الأجواء أيضا يتعلم الأطفال معنى الشهادة والجنة والموت، يعرفون معنى اليتم وافتقاد الأب وكذا الأصدقاء والجيران.. يتعلمون الحذر والترقب.. يدركون معنى العزة والقوة ورفع راية التوحيد عاليا .. يفرحون للنصر ويكبرون لأرتال المجاهدين.. يتعودون الزهد والورع والإيثار والصبر، يعرفون معاني كبيرة وإن لم تعبر عنها حروفهم الوليدة.

على الفطرة، نعم هم كذلك ولهذا فإن تغذية عقولهم السليمة هي التي ستضمن جيلا قويا لا تأخذه في الله لومة لائم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .. يحبهم الله ويحبونه.

كان هذا قبس حقيقي لا خيالي من حياة الهجرة والجهاد في عصرنا اليوم، لن تسعه الصفحات ليكمل التفصيلات، ولكننا نضرب الأمثال للناس لعلهم يعتبرون.

❖ **الأم:**

مدرسة .. بل عبقرية منسية! هذه حال الأم المجاهدة، فقد تحملت من الأعباء والهموم ما إن وزناها لعدلت بها كفة ما يلقاه الرجال في الجهاد، كيف وإن نظرنا فيما تقوم به من واجبات ووظائف وما تتحمله من مسؤوليات ومخاطر، وجدناه يمثل نصف أساس الجهاد، ولولا شقائق الرجال في هذا الحرب، ولولا صبرهن

ومساندتهن بالجهد وبالدعاء.. لما كان هناك حديث عن ظفر أو نصر أو ثبات ولا حتى استمرار!

وإن لم يكن هناك تسليط للضوء على هذه الروح المؤمنة التي ترابط بأحاسيسها المرهفة وأفئدتها المكلومة فإن دعواتها لا تخفى على خالقها، وإن ما تمده للأمة من أبناء مجاهدين حاملين للأمانة وما تتحمله من قسوة الحياة وألم الفؤاد على فراق زوج أو ابن أو أب أو أخ، ليكفي أن نقف أمامه وقفة إجلال ونسأل الله أن يبارك فيها وفي ذريتها وكذا في دقائق صبرها.

نعم هذه هي الأم التي يتربى في حضنها أطفال الجهاد، صابرة مصابرة، قد يفتح الصغير عينيه فيجدها تطعمه وهي جائعة وتسقيه وهي عطشى، وقد تخفي دموعها عنه وتبتسم كي لا يشعر بأنها فجعت في حبيب، حين يرحل شهيدا.. هي التي تتحمل المواقف العظيمة، وتشد أزر صغيرها، تحميه من أي جبن قد يتسلل لقلبه أو أي خوف قد يؤرق عليه نومه وإن كانت مرتجفة!

تراها تسهر على تلبية حاجات أولادها وتسارع لتأمينهم في أي موقع ترحل إليه جديد، تستكشف المكان بسرعة وتجيب عن أسئلة أبنائها المستعصية بكل ما تحمله من حكمة أو معرفة، تجمع بين عاطفة الأم ورباطة جأش المجاهدة. هذه الأم التي يتربى في كنفها مجاهدنا الصغير، قد تكون حرمت كل صلة مع أهلها أو قد تكون ابتليت بكل أنواع الأذى في سبيل الثبات على طريق ربها، وقد تكون عرفت الوحدة والغربة ولم تشعر فلذات أكبادها يوما بحاجاتها وآلامها.

تدبر الأمور في البيت لتوفر كل ما يدفّؤه ويؤمّنه، تصبر على الحاجة وتبتكر عند الحاجة، تتصبر بصبر غيرها وتستذكر نعم ربها.

في الواقع إن أرض الجهاد ضمت نماذج للأمهات حق لأمة الإسلام أن تفخر بها، ويكفي أن نعلم أن أي إنجاز من مجاهد عظيم في ثغر من ثغور المسلمين لا شك أن خلفه امرأة عظيمة لا يعرفها الناس ولكن يعرفها ربّ الناس.

ولعل أصعب ما يواجه الأم في حياة الجهاد هي حالات المرض التي تعجز فيها عن توفير العلاج لصغارها أو حتى تخفيف صوت أنينهم وعمق آلامهم، ثم طلباتهم التي لا تقدر على توفيرها، وقد تكون بسيطة جدا، كالشكلاطة أو الحلوى ولكن ظرفا تمر به قد يحرمها رسم هذه الفرحة على ثغور أبنائها، هذا إن لم نتحدث عن ساعات الوحشة والترقب لأخبار أهل الجهاد حين يغير عدو أو يقترب كافر.

ثم هي بحق بهجة البيت تقلبه سعادة بأبسط الموجود وتظهر أروع عطاءاتها في الأعياد وشعائر الإسلام ذلك أنها تقود جبهة جهادية لوحدها، هدفها، تربية طفل مسلم مجاهد معتز بدينه وبأمته، فتراها مرابطة على تعظيم شعائر الإسلام في قلوب أبنائها وحريصة على تحبيبهم الجهاد وكل مظاهر الإسلام.

ثم لابد أن نذكر تفانيها في خدمة المجاهدين وتلبية مطالبهم زمرا و فرادى، وكم من أم أنفقت من وقتها وجهدها ومالها في سبيل خدمة جند الإسلام.. فأصبح ذكر اسمها عندهم يرادف استراحة المقاتل المحببة.. وأذكر في هذا المقام العديد من

الأمثلة التي تثير الإعجاب من نساء تميّزن بهمةّ عجيبة وطاقة لا تبارى حين ينطلقن لصناعة الطعام بكميات كبيرة أو خدمة المجاهدين في كل ما يحتاجونه..

لقد رأيت إحدى المهاجرات وقد رفضت أن تنافسها الأخريات في صناعة الخبز فخبزت أكثر من مائة رغيف لوحدها تعجنه وتخمره وتفتحه وتخبزه واحدا تلو الآخر على نار الفحم الصغيرة التي لا تسمح إلا بخبز رغيف واحد في كل مرة! وكنت أرى قريناتها لا ينجزن إلا عشرة أرغفة ويتعبن ويتململن! فحين لمحت ذلك الإصرار في عينيها علمت أن الدافع لم يكن سوى حب خدمة المجاهدين وسعادة تغمرها إزاء ذلك، و بعد أن أتمت بذلها، لم تستطع النهوض بسبب آلام ظهرها ولكنها رفضت النوم تلك الليلة حتى يصلها خبر يطمأنها أن الطعام وصل للمرابطين في خطوط القتال وأنه قد نال قبولهم، وحقا لم تنم حتى وصلها الخبر المنتظر، ويا لها من فرحة حين علمت أنه لم يتبق من خبزها ولا حتى لقمة واحدة .. فنامت قريرة العين تعد بالخير! ومرت الأيام ورأيت نفس الأخت تصنع آلاف الحبات من البسكويت للمجاهدين لم تزل في كد وجد لم تكل ولم تمل ولم تغير عادتها في الحرص على معرفة ردود فعل المجاهدين وتفاصيل استلام الأمانة!

ومثلها أخوات على قلة ذات اليد كنّ يسابقن في البذل وإن كان المردود قليلا فإن الأجر عند الله بإذن الله كبيرا.. قال ابن المبارك – رحمه الله– : " رُبّ عمل صغير تُكثّره النية ورُبّ عمل كثير تصغره النية ".

أمثلة الخدمة من النساء للمجاهدين تتدافع في الذاكرة وإن لكل واحدة منهن أسطورة لا حكاية، فهذه تنفق من جيبها وأخرى تعمل بعرق جبينها يعملن فرادى وزمرا، لقد شاهدت معامل منظمة تنظيما رائعا ليس فقط لصناعة الطعام والشراب بل لصناعة كل مستلزمات المرابط في الساحات بما في ذلك زمزميات الماء والأغطية والمحفظات وغيره من أغراض بسيطة لكنها تمثل للمجاهد ضرورة كبيرة، وقد حلّت بركة الرحمن عليهن لتحاببهن وتعاونهن في الله وفي سبيل نصرة دينه وخدمة أوليائه فاللهم تقبل كل ما قدمنه لإخوانهن.

لقد كن يتسابقن في الخدمة حتى يضجّ المجاهدون من الكثرة ليعقب ذلك أمر بالكفّ أو التأجيل.. فيكون السبب في حزن بعضهن لدرجة النحيب، إنها الخشية من الاستبدال!

وإن كان البعض يعتقد أن هذه السعادة في خدمة المجاهدين كانت للعلاقة المباشرة معهم فقد أبعد النعجة، لقد تواترت مواقف كثيرة لكتائب المجاهدين السائرة في الأرض، يتعرض لهم فيها أهل الكرم والجود من الفلاحين وأهل البادية فيقدمون لهم خيرة الطعام ويحرسونهم حتى يطمئنوا أن لا جائع بقي بين الصفوف.. وقد يهدونهم الهدايا ويسألونهم الدعاء، ومن بين هذه المواقف يحضرني قصة امرأة عجوز سمعت بتحرك للمجاهدين عبر منطقتها متجهين للغزو .. فذبحت لهم شاة وطبختها، وبقيت تنتظر عودتهم فتأخروا في الرجوع، وكونها تعيش في بادية لا وسيلة لديها لحفظ الطعام كي لا يفسد، فقد سهرت الليل تسخن اللحم على النار لتضمن صلاحيته أطول وقت ممكن، وهي تكابد النعاس وترجو الله ألا يحرمها فرحة

سعيها.. واستمرت على هذه الحال إلى أن أبصرت قافلة المجاهدين قافلة، فسعدت للقاءهم وهبّت لإكرامهم، فعجب منها المنهكون .. وأقبلوا على سفرة العجوز الكريمة المسابقة، وخرجوا من عندها يكيلون لها الدعاء .. فلله الحمد والمنة أن قذف حبّ المجاهدين في قلوب هؤلاء البسطاء في أرض الله الواسعة.

وإن تفاوتت النساء في هذا المضمار .. إلا أن أدناهن ترعى بلا شك فارسا أو فارسة من فرسان الإسلام.. أو تشد أزر مجاهد من رجالات الإسلام أو ترابط على ثغر الدعاء لنصرة المجاهدين، وكفى به فضلا وكفى به مقاما تغيظ به الأعداء.

❖ الأب:

متواجد وغير متواجد، بل إن أغلب الأسر في الجهاد يحرمون تواجد الآباء، وإن وجد فهو في شغل منشغل هذا حال الأغلبية.. قد يخفى عليه الكثير من أحوال أبنائه وقد يتفاجأ بهم وقد كبروا وفقهوا وانطلقت ألسنتهم تناديه بـ "أبي" ولم ينتبه بعد أنهم كبروا !

حرم أطفال المجاهدين ظل الأب في أكثر الأوقات ولهذا كان الحمل أثقل على الأمهات.. ولا شك أن ما يحمله الآباء من همّ هذا الجهاد والدفاع عن الإسلام ليشفع لهم هذا الغياب الذي قد يطول ليبلغ أشهرا طويلة وربما سنوات، وقد يتفاوت حرص الآباء على سد هذا الفراغ بقدر اجتهادهم وقدرتهم على ذلك،

وقد رأينا من الآباء المجاهدين من ضرب أروع الأمثلة في الوفاء لأبنائه بحق الأبوة، يحتضنهم رغم ثقل كاهله بمهام القيادة أو الرباط، يشعرهم بصدق محبته وشوقه إليهم، فكان حضوره دائم وإن غاب تواجده.

ومما يحضرني في هذا الباب قصة أحد القادة الذين انشغلوا عن أبنائهم وأسرتهم بشكل كبير، بسبب الاجتماعات والاعداد لأعمال الدفاع والقتال.. وكان حينها الوضع القتالي على أشده.. وفي هذه الأثناء المزدحمة مرض ابنه الصغير الذي لم يتعدى السنة الأولى من عمره وكان يبعد عنه مسافة لا تقل عن خمس ساعات من خلال طريق وعرة.

مرض الصغير مرضا شديدا، ولم تجد أمه له طبيبا، كما أن خروجها لبحث الدواء كان فيه خطرا حقيقيا .. واشتدت حال الطفل، وكان الأب في قلب الاجتماعات، وحين اتصلته الأم، وأخبرته وهي منهارة عن حال ابنها.. شعر بها وبابنه وشعر أيضا بورطته، ولكنه تفكر ونظر، فوجد لديه فسحة معدودة، فانطلق مسافرا إليهم ليطرق بابهم في الثالثة بعد منتصف الليل، يشق الغبار ووعورة الطريق، يمنع نفسه النوم .. يركز في أفكاره الخاصة بالعمل تارة وتارة أخرى في كيف يخفف عن أهله وابنه آلامهم .. فوصل مفاجأ الكلّ، وكانت سعادة لا توصف بالكمّ، فاحتضن ابنه، وناوله الدواء.. وقضى معهم ساعتين لا ثالث لهما، وحين دقت الخامسة صباحا.. صلّى صلاة الفجر وانطلق إلى ثغره وهو يوصي زوجته بالصبر والاحتساب، وقد شحذ همتها بحب وحنان وصدق اهتمام، فاشتد عزمها وزادت

صلابتها، وأقبلت بهمة ترعى ابنها حتى أقر الله عينها بأن سلّمه من مرض كاد يفتك به.. ورجع هو لثغره وقد شعر ببركة فعله.

وإن كان هذا جانب مشرق من علاقة أب مع أسرته المرابطة، فهناك أمثلة مؤسفة لبعض الآباء، من كلّف نفسه فوق ما يطيق ثم أهمل واجباته وتعذر بالجهاد، فتجده أبا لعدد كبير من الأطفال ومسؤولا عن عدد من الأسر لتعدد الزوجات ولكنه لا ينظم نفسه ولا يحاسبها ليقدم لهم الحد الأدنى من حاجاتهم النفسية لا أقول المادية، وإن إهمال هذا الأمر ليؤثر بشكل مباشر في مراحل بناء شخصيات أولئك الأشبال المقبلين على ثغور أبائهم يوما ما في الجهاد .. وإن التناصح في الله والتذكير بالواجب المناط براعي الأسرة لهو من الأمور المطلوبة لكل واعظ ومحرض في سبيل الله فيلقى الأب المجاهد ربه وقد أبلى البلاء الحسن في كل ما يخصه.. ولم يقصر في كل ما يحمل اسمه.. فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

❖ الحياة الأسرية والاجتماعية:

في هذا الجو من العيش الجهادي، تكون الأسر منفصلة عن بقية العلاقات العائلية، فقليلا ما يرتبط الأطفال بأبناء عمّ أو أخال، ولا يتزاورون إلا نادرا مع أجدادهم أو قرابتهم ذلك حال المهاجرين خاصة، فالعلاقات للأسف تقهرها

الظروف الأمنية والترحال والكثير من الموانع، ورغم ذلك يكون مع هذا الحرمان حنين جارف لكل ما يتصل بالعائلة.. فتجد الطفل يسأل عن جده وجدته وعمه وخاله وكل ما يقرب له .. يحب الحديث عنهم ويشعر بالأنس بتذاكر قصصهم وأخبارهم وحين يصله سلامهم فكأنه حاز الدنيا برمتها فما بالك هداياهم..!

أما الجيران فعلى اختلاف، قد يمنّ الله على المهاجر بجيرة طيبة ولكن لا تستمر طويلا لظروف الترحال، وقد تستمر إن كانت على نفس درب ذلك الترحال.. وقد تتوق نفسه لظل جار فلا يجده وهنا يدرك المرء قيمة الجوار ويبصر سبب توصية جبريل – عليه السلام– على الجار، فهي نعمة من نعم الله التي يغفل عنها كثير من الناس ولا يدرك أهميتها إلا من حرمها وهذا حال أهل الجهاد يعددون نعم الله الكثيرة فقد أبصروها حين فقدوها!

وفي العموم فهناك بعض القصص الرائعة لجيرة الجهاد، أذكر منها، قصة جارة من عامة الناس، كانت تسكن بجانبها عائلة مهاجرة، وقد ذهب الزوج للرباط وبقيت المهاجرة مع أبنائها لوحدها مستوحشة المكان الجديد، فطرقت بابها الجارة صباحا باكرا وأقبلت وهي محضرة لها الإفطار جاهزا، فتعجبت المهاجرة من فعل جارتها الجديدة وفرحت به .. والأعجب منه أن هذه الجارة استمرت في جلب الطعام المطبوخ في كل يوم حتى اليوم الثامن الذي أحضرت فيه الخضار واللحم نيئا وقالت لجارتها الجديدة: ها قد ألفت بيتك فاطبخي الآن لنفسك، لقد كان موقفا رائعا تغلفه المحبة بين المؤمنين وتدفؤه تلك النفوس المبصرة التي تعرف كيف تخلق السعادة في قلوب جيرانها، فأصبحت المهاجرة في ألفة شديدة مع جارتها لدرجة أنها لا

تحمل همّ أمر إلا وحلّ .. ولا يستوحش أولادها أبدا فقد وجدوا أنسا من هذه الجارة الطيبة.. فضلا عن الأمن فقد كانت ما إن تسمع عن تحركات من الأعداء حتى تكون أول من ينذر جارتها.. لتحسب حسابها.

ولكن بعد الرحيل وهذا مصير محتوم للعائلات المهاجرة، التنقل في الأرض والسياحة، تركت العائلة ألما عميقا في الصدر، فبعض المحبة لا تعوض ولو بمال الأرض! وبقي الأطفال يرددون إسم تلك الجارة الكريمة، إنها قصة من بين الكثير من قصص الوفاء والمحبة التي جمعت الجيران في أراضي الجهاد، يتعاونون في الله ويتحابون في الله.

ومن المواقف التي تكررت كثيرا لتأكد ذلك المعدن الطيّب والثمين لأهل النصرة من المسلمين، المساعدة غير المتوقعة التي تطرق باب المهاجر أو المهاجرة في عز الطلب، ولقد شاهدت مواقف تقشعر لها القلوب المؤمنة، وتتفكر فيها القلوب الوجلة، ومنها أذكر قصة تلك المهاجرة التي افتقدت المال وبقيت في بيتها لا تخرج منه على عكس عادتها اليومية في الخروج للسوق لجلب حاجيات أطفالها.. فإذا بها تتفاجأ بجارتها الأنصارية ترسل لها ابنها وتدعوها للقدوم لبيتها، فما إن وصلت حتى سألتها عن سبب غيابها وقلة حركتها، فأخفت عنها المهاجرة حاجتها فإذا بها تمد يدها وتضع في جيبها مالا وتقول هذا لك فاقض حاجاتك ولا تنسي أن لك أختا هنا... فما كان من المهاجرة إلا التعجب من فراسة جارتها... واستشعرت رحمة ربها.. وفي لحظات خنقتها العبرات فإذا بجارتها المبصرة تدفع بها للانطلاق إلى

السوق لتشتري ما ينقصها .. وهكذا انطلقت المهاجرة تسبقها الدموع لا تدري كيف ترد مثل هذا المعروف إلا تكرار دعاء واحد .. اللهم ارض عن جارتي..!

وفي موقف ذهبيّ آخر رأيت أنصارية تسارع لبيت مهاجرة فتنظفه وتعطره وتكسوه بخير كسوة وتفرشه بخير فراش، ثم حين رجعت المهاجرة الفقيرة المرهقة لغرفتها وقد كانت في مشغل، تفاجأت من حالتها البهية، وتبعثرت الكلمات على لسانها، فلم تجد من طريقة تكافؤ بها هذه البصيرة إلا دموعا تسكبها في دعاء خالص للأنصارية حين تنام على فراش معطر مريح وقد أخذ منها التعب كل مأخذ ولم تكن لتنتظر ذلك النعيم! وهذه ذكرى أخرى لجارة أنصارية، ما إن وصلها خبر حلول جارتها الجديدة البيت المجاور حتى هبت بمكنستها ودلوها، ودخلت تنظف لها البيت وتقلبه بهجة وسرورا فوقفت المهاجرة عاجزة عن التعبير، ومن يعلم مقدار الصعوبة التي تواجه بعض المهاجرات - اللاتي هجرن حياة الدّعة والترف لحياة الكدّ والزهد - في التعامل مع ظروف الحياة القاسية أحيانا في بيوت الهجرة .. سيعلم معنى هذا البذل والعطاء من أنصاريات مسابقات، قد أبصرن أقصر الطرق للإحسان وبرعن في احتضان تلك المهاجرة مثقلة الكاهل بغربة المكان واللغة والقوم! فتمسح عنها هذه الطيبة كل همّ وتزرع مكانه الاستبشار..! وصدق من قال: جواهر الأخلاق تفضحها المعاشرة... وإن مع العسر يسرا.

❖ الحضن الأول والتربية التمهيدية:

إن استقبال المولود في أرض الجهاد له طابعه الخاص، فغالبا ما تكون الولادة بعيدا عن جو العائلة أو حضور الأب، والكثير من الآباء بشروا بولادة أبنائهم وهم في ساحات القتال أو الرباط، وكم من أم انتظرت كثيرا حتى قررت أي اسم سيحمله وليدها ذلك أن الجواب من الأب قد يتأخر لظروف العمل الجهادي.. وكم من وليمة عقيقة أقيمت تحت ظلال الأشجار وفي الفيافي والصحراء، بين المرابطين الفرحين بالمولود الجديد لرفيق لهم.. وقد تصادف ولادته موعد شهادة أحدهم!

وفي الواقع استقبال هذا الطفل قد تكون بدايته بالمخاطر، وأذكر في ذلك قصة ولادة استعسرت على إحدى الأمهات في أحد الثغور، حتى اضطرت النساء لحملها لعيادة طبيب مجاهد لإجراء عملية قيصرية.. ومع آلام المخاض القاسية، اجتمعت قذائف القصف الباغية.. ولنا أن نتخيل كيف كانت حال تلك الأم وهي في غرفة العمليات في مخاض وألم والقذائف تتساقط على جنبات العيادة من كل حدب وصوب بينما يحفظها الله ووليدها من الموت.. ويتم الطبيب المجاهد الشجاع عمله بإتقان دون أن يرتجف، فهو في عبادة أيضا، لقد أكمل العملية برمتها تحت القصف وارتجاج الجدران وتساقط الغبار! فأنقذ حياة طفل وأمه في حين كانت القذائف تحصد أرواح أطفال وأمهات في مكان ما ليس ببعيد عنه باسم محاربة "الإرهاب"!

ليست كل مشاهد الولادة مأساوية ولكن الكثير منها عسير وقد ينتهي بموت الوليد أو أمه لنقص في الخدمات الطبية أو قلة خبرة المولدة.. والأمر يتغير بحسب تغير الثغر.. فبعض الثغور لا تعاني من نقص الخدمات الطبية فلا تواجه الأسر المرابطة ذات التحدي.

وقد تواجه الأم بعد الولادة عسرا في توفير الحليب، وأفضل الحليب للمولود الجديد هو رضاعة الأم فهو بحق هدية من السماء ذلك أنه صحيّ وعمليّ واقتصادي ويقدم وثاق محبة روحي لا يقارن بأي طريقة تغذية أخرى، وإن شحّ في بعض الظروف لسوء اهتمام الأم بصحتها ولتعذر توفير ما يعينها على ذلك، فإن توفير الحليب الصناعي قد يمثل تحديا كبيرا سواء ماديا أوحتى كميّا لعدم توفره في بعض الأماكن عند بعض الأسر المجاهدة، وقد لجأت بعض الأمهات لطريقة نساء البوادي وهو إرضاع الصغار حليب الماعز أو النوق أو البقر، وقد رأيت الكثير من الأطفال الذين تغذوا على هذه الأنواع من الحليب وصحتهم جيدة جدا ولا يعانون من أي ضعف، فتأملت في رحمة الله ولطفه بعباده أينما كانوا.. ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء _ 100].

ثم يكبر الصغير ولا يكون للأم عادة ما يوفره الناس لأولادهم في حياة الدّعة، فتجدها تحيطه بكل ما تملكه من اهتمام ورعاية، وقد تكون قطعا من اللباس البالية أو الرخيصة ولكن ابتسامة طفلها هي كل فرحتها، وكم من الزهد تعلمه حياة

الجهاد وكم من الرضى يريح النفوس المجاهدة.. قال سفيان الثوري – رحمه الله-: "ارض بما قسم الله تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً". وسئل الحسن البصري – رحمه الله- عن سر زهده في الدنيا فقال: "أربعة أشياء.. علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني عاصيا، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي".

وقد تبتلى الأم بعدم توفير اللقاحات ضد الأمراض، وهذا بحد ذاته ابتلاء عظيم لأنها ستواجه أمراضا فتاكة، كالحصبة والسعال الديكي وبعض الأوبئة التي لا ينفع معها إلا الابتهال لله والرجاء، ولقد شاهدت العديد من الأمهات وقد ابتلين بالرباط على فراش أطفالهن المصابين بأحد هذه الأمراض الخطيرة التي تودي بحياة بعضهم فتودعه الأم الثكلى بألم لا يوصف.. ومنها من ترابط الشهر وأكثر على مرض لا تذوق عيناها معه طعم النوم ولا الراحة، لا يتوفر له علاج ويستلزم الصبر والدعاء.. أتحدث عن أمراض لا يفكر فيها أهل المدن والمرتادين على المستشفيات التي توفر أنواع التطعيم في كل حين لأطفالهم، إنما أتحدث عن حياة أولئك الرحالة الذين لا يمكنهم توفير هذا النوع من التحصين لفلذات أكبادهم ولكن تتداركهم رحمة الله ويتجاوز الكثير من الأطفال أمراضا لم أكن أتخيل أنهم سيتجاوزونها منها شلل الأطفال والإسهال المزمن.

فالحمد لله، أن جعل للمرابطة صبرا وجلدة، ويكفي تضرع الأم في حينه لنرى رحمة الله تحل قريبا!

ليست كل مشاهد الحياة في الجهاد بذات القسوة، ولكنه واقع يعرفه أهله ويدركون أنه أحد امتحانات الهجرة والجهاد..وأحد مشاهد الرحمة والسلوان.

ثم هناك أمراض أخرى لا تقل خطورة كالملاريا وداء الصفراء والتيفوئيد وهي فتاكة أيضا وقاتلة إن لم يتم مواجهتها بالعلاج في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة.

وإن تجاوزنا قضية المرض فإن الأم أمام الحرص على الوقاية أكثر من العلاج ولهذا تجد الأمهات يبحثن سبل حفظ الطفل بصحة جيدة بتقوية مناعته، سواء من ناحية الطعام أو الاستعانة بالعلاجات الطبيعية، كالعسل والحبة السوداء وزيت الزيتون والثوم والليمون والأعشاب وغيرها من نعم الله التي ثبت لها مفعول طيّب في حفظ صحة الأطفال وتقوية مناعتهم.. ناهيك عن استعمال الناموسيات لمنع لدغات الباعوض الموبوء والحرص على تفقد البيت وسلامته.. فبعد أن يبدأ الطفل بالتحرك والتعرف على الحياة التي هو مقبل عليها.. سيكون على الأم حفظه من كل خطر قد يواجهه، وقد تقل هذه الأخطار في بيوت مهيئة لمعيشة آمنة مرفهة ولكنها تزداد في بيوت الطين أو الحجارة أين قد تتفاجأ الأم بلدغات العقارب أو الأفاعي أو الحشرات السامة، وكذا أخطار النار والماء وفي الأخير، فقد تعلمت الأمهات كيف يرفعن درجة اليقظة إزاء كل خطر وكيف تتعاملن معه بعجلة.. فمنهن من تحرص على سد أي ثقوب في البيت وتستعمل بعض المواد التي تنفّر الحيّات والحشرات السامة من حدود البيت.. فضلا عن معرفتهن بالإسعافات الأولية التي يلجأن لها عند حدوث اللدغة كمصّ الجرح وربط الطّرف وغيره مما يمكن أن يسعف الطفل في حال الإصابة قبل نقله للمشفى .. وفي الواقع هذه

الحالات معدودة ولكنها قد تتواتر في القرى الجديدة التي لم يسبق أن تعودت على طبيعة العيش فيها الأمهات.

ويبقى خطر القصف أخطرهم فهو ما يهدد حياة الكثير من الأطفال الذين يقضون نحبهم تحت الأنقاض في بعض ثغور المسلمين من طائرات الغزاة المعتدين.. ولكن لكل أجل كتاب، ولن يغني حذر من قدر.. ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

وفي هذه الأجواء يكبر الصغير مفتقدا ما يسمى "الألعاب" ذلك أن توفيرها صعب وإن حصل فمحدود لقلتها أو لأنها ليست إلا زيادة في حجم المتاع وقد تفقد تماما في بعض الثغور.. ولا أذكر من أنواع الألعاب التي يلعب بها الأطفال سوى المسدسات والبنادق البلاستيكية التي يشترونها من الأسواق أو الخشبية التي يصنعونها بأنفسهم بل يبرعون في صناعتها.. وهذه أشهر الألعاب التي دأب عليها مجاهدونا الصغار إن لم أحص معها السيارات التي يصنعونها بأيديهم من المخلفات البلاستيكية وكذا الطائرات الورقية.

ولهذا تلجأ بعض المفكرات لحيل تلاعب بها صغارها فتصنع من القماش ألعابا.. وتلهي أطفالها بما توفر من أفكار تقليدية بسيطة تصدر صوتا أو تظهر لونا فيفرح لها الطفل كما يفرح كل طفل في هذا العالم لألعاب تكلّف أثمانا باهضة .. وهذه السعادة نعمة من الله لا يمكن لأحد أن يحرمها قلبا .. مهما بذل من جهد.. ومهما مكر من مكر.. وتلك سعادة صغار المجاهدين في محاضن الجهاد.

ومن أصعب فترات تربية الطفل هي فترة عمر السنتين والثلاث سنوات وما حولها ذلك أنها مرحلة تعليم للنظافة الشخصية والانتظام في الحياة، وغالبا ما تكون مرحلة استكشاف يريد من خلالها الطفل معرفة الكثير عما يدور حوله، وأخطر ما على الأم التنبه له هو الأسلحة والمسدسات وخاصة القنابل اليدوية أو السوائل الحارقة الخطيرة لأنها إن وقعت في يد صغير مشاغب، فسيفتك بنفسه بل بالأسرة كلها..! لهذا على الأم ألا تغفل عن مثل هذا الخطر إن وجد في بيتها وأن تبعده تماما عن متناول الأطفال.

ثم عليها أن تولي صغيرها اهتمامها وانتباهها فتحاوره وتنظر في طلباته وتخاطبه بلغة مفهومة سليمة حتى يستقيم لسانه فصيحا.

وكم من الأمهات في الجهاد ينشدن لصغارهن أناشيد الجهاد والاستشهاد فتجد الصغير يرددها بلسانه المتلعثم ويحمل راية صنعها بيده وخشبة أعدها بنفسه بشكل سلاح، ويركض فارسا سعيدا بما آته الله من فضل!

ومما رسخ في الذاكرة تلك الأم التي استشهد زوجها وكان لديها خمس أطفال صغار وكانت مع جيران لها لهم أطفال في نفس المرحلة العمرية كذلك، فكانت تردد لهم نشيد، (أماما أماما جنود الفدا ، أعدوا الشباب ليوم الفدا)، فكنت أرى تلك القامات القصيرة تنتظم كصفوف المجاهدين وتنظر بثقة وصلابة وتمشي بخطوات قوية، وكأنها ذاهبة لموعد الظفر! والآن أصبحت تلك القامات أطول ولم

تنس تلك الذكريات الجميلة.. وقد تشربت شخصياتها من الشجاعة وعزة الإسلام الكثير..!

وفي العموم فإن أغلب الأطفال في هذه المرحلة العمرية قد فتحوا أعينهم على حياة الجهاد فتشربوا منها السلوك والمظهر.. ولا يخلو بيت فيه طفل في هذه السن إلا ويهتف بالتكبير ويحاكي بصوته أصوات الطلقات والتفجيرات .. يقلد المجاهدين في سيرهم واصطفافهم وحملهم السلاح والرايات والانبطاح على الأرض والزحف والقفز، فأطفال الجهاد مقلدون بشكل عجيب للمجاهدين حتى في أقل التفاصيل كعصابة على الرأس أو شارة على اليد، يتوعدون الكفار بعباراتهم البسيطة وتحركاتهم الطفولية الواثقة، وهم فرحين تغمرهم سعادة قد لم تطرق قلوب الكثير من الأطفال اليوم في ظروف حياتية أكثر أمنا واستقرارا وغنى. وبالنظر في أبحاث الاختصاصيين في علم النفس والتربية فإن الطفل في سنواته الست الأولى قد أسس شخصيته وقد استجمع صفاتها ولم يبق إلا تجليها في قابل السنوات.. لهذا فإن هذه المرحلة هي بحق مرحلة بناء شخصية الطفل فلا يستهان بها تحت أي ظرف.

❖ التربية والتعليم الابتدائي:

تحت هذا المشهد من أجواء التحريض، يكبر الطفل المجاهد الصغير ليقبل على مرحلة التربية والتعليم الابتدائي والتي غالبا ما يقضيها في ظروف مختلفة عن أقرانه

الذين يترعرعون في ظروف مستقرة، فتوفير مدارس منتظمة ليس ممكنا في ثغور الرباط والحرب إلا في مناطق مستقرة نسبيا وهذه المدارس قد لا توفر إلا حدا أدنى من التعليم ثم قد لا يمكن لكثير من أطفال المهاجرين الالتحاق بها لظروف أمنية، وقد تأملت في هذه المرحلة الابتدائية ووجدت أن الأطفال الذين منّ الله عليهم بالتعليم في مدارس إسلامية فقد كفوا الأم همّا كبيرا ووفروا عليها وقتا طويلا ويكسبون بذلك معرفة متواصلة.. ولكن من ابتليت بأن يبقى أطفالها في محيطها لتصبح بذلك المسؤولة الأولى عن تعليمهم فليس لها إلا أن تقوم لثغرها مستعينة بالله.. وفي هذا الوضع رأيت حلّين مجربين وناجحين بحسب ظروف كل عائلة، إما أن يتفق عدد من الأسر على تأسيس مدرسة داخل البيت يتم تخصيص غرفة واحدة لها حتى يستشعر الأطفال جو التعليم، وتتفق الأمهات على تقاسم ساعات التدريس أو أن تتفرغ أكثرهن كفاءة لهذا العمل بينما يخففون عنها من بقية مهامها وأعبائها، وبهذا الشكل يتم إنشاء أول مدرسة مصغرة للأطفال.. وحين نتحدث عن مدرسة في البيت فهذا يعني تحقيق شروط المدرسة كحد أدنى، بتوفير سبورة للكتابة وبتوفير دفاتر وأقلام وإلزام الأطفال بساعات دوام منتظمة يُنظر فيها بحسب برنامج البيت مع الأخذ بعين الاعتبار ساعات تناول الوجبات والراحة والنوم واللعب، ووضع برنامج تعليمي أو منهج دراسي تتبعه المعلمة بانتظام لأفضل مردود ممكن، ومن واقع التجربة فإن أفضل منهج دراسي هو الابتداء بتحفيظ كتاب الله في هذه السن الغضة، ذلك أن تحفيظ القرآن الكريم يكسب الطفل لغة فصيحة ويقوي لسانه ويبارك في قدرته على الحفظ.. وقد شاهدنا أطفالا حفظوا على أعمار صغيرة كسبع وتسع سنوات ، وغالبا ما يختمون قبل عمر الثالثة عشر،

وهذا ما يشرح الصدر إذ أن حفظ كتاب الله مكسب عظيم للشباب المقبل على الجهاد.. وفي الصحيح قال رسول الله – ﷺ – : (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه).

ثم في مرحلة الابتدائية يركز على تعليم الطفل الكتابة والقراءة والمفاهيم البسيطة للعقيدة، وحين يتقنها مع الحفظ للقرآن الكريم والأذكار اليومية يمكن إدخال الفقه والسيرة النبوية للمستوى الأول بحسب درجة الاستيعاب العمرية للأطفال، وكذا بعض المتون مثل متن تحفة الأطفال.

يخرج الطفل من هذا الطور الابتدائي بأجزاء قد حفظها من القرآن الكريم وقد أتقن الكتابة والقراءة وتعلم بعض الأذكار وكذا أساسيات العقيدة وله إلمام طيب بسيرة نبيه – ﷺ– .. دون أن ننسى حفظه لبعض المتون.. وإن كان في حدود السابعة فقد تعلم بعض الفقه من فقه الطهارة والصلاة ذلك أن في هذه العمر يتم التركيز على حفظ مواقيت الصلاة ليؤديها بإتقان وبانتظام ويكون هذا بالتشجيع على أداء الصلاة جماعة من باب التعويد لا المحاسبة. ويتفاوت الأطفال في مستويات التحصيل بحسب همّة كل فرد منهم وطاقته الاستيعابية.

وهذه المرحلة تمتد من عمر أربع سنوات إلى عمر تسع سنوات ذكورا وإناثا.. كمعدل تقريبي.

ثم لا يمكن أن يلقن الطفل العلم وحده بل لابد من تربية موازية، والتربية فنّ وجب إتقانه من كل مربيّ ومربية، كما أن التربية ليست مرادفا للقسوة! ولا شك أن القسوة الزائدة عن حدها لها مفعول عكسي، إذ تكسب الطفل في حالات مؤسفة صفة الجبن أو قد تضطره لامتهان الكذب والمكر، وحتى نوازن الأمور فلا خير من تربية إسلامية وسطية، لا يستعمل فيها القسوة الشديدة ولا اللين الشديد، فالطفل في الأخير سيستجيب لمربيه بقدر تفاعل شخصيته معه، وهنا لنا وقفات مع هذه العمر الحرجة:

أولا: الحوار مهم ومن لبنات التربية الإسلامية، فكثيرا ما يعاقب الطفل ولا يعرف ما سبب عقابه، لأنه لا أحد يكلّف نفسه إفهامه ذلك، بل أغلب العقاب يكون مجرد ردة فعل لشعور الغضب والاستياء من فعل هذا أو ذاك الطفل! فلابد إذن من تعويد الطفل لغة الحوار... ومن تبيان المشكلة وتجلية الأمر وتمييز الصح من الخطأ وكذا التدرج في العقاب.

ثانيا: العقاب لا يكون لضعف في الفهم أو بلادة أو قلة استيعاب لأن هذه لا يمكن أن نعالجها بالضرب، فلن يفهمه الضرب بل سيفهمه الشرح! ولهذا فالصبر مهم جدا في تلقين الطفل وتوضيح المبهمات حتى نكسب فهما سليما.. ويدخل في هذا الالتفات لأسئلة الأطفال الكثيرة ومعالجتها بحكمة وصبر لإرواء غليل المتعطشين للمعرفة وأيضا إفهام الطفل لماذا تصرفه منكر وغير مرغوب فيه فيبصر بنفسه الصواب.

ثالثا: العقاب يكون لقلة أدب أو لسلوك معوج وجب تقويمه أو عند التهاون المتعمد في أداء الواجبات..لا لسوء فهم..! والعقاب يكون كذلك درجات بحسب شخصية الطفل وبحسب نوع الخطأ.

رابعا: هناك وسائل ترغيبية وتشجيعية كثيرة يمكن من خلالها كسب اهتمام الطفل ورفع همته، فمثلا كل طفل أتم حفظ جزء من القرآن يتم تهنئته وتكريمه أمام غيره من الأطفال فيصبح حفظ الجزء إنجازا يتسابق عليه الأطفال. وكذا الهدايا والمكافآت بحسب اجتهاد الطفل كما يرحب بكل ابتكار من أحدهم وبكل أداء متميّز عن أقرانه.

خامسا: الوسائل الترهيبية لا تقتصر على الضرب بل الضرب آخرها فهناك الحرمان من بعض الحقوق، أو التهديد بالعقاب وهو لوحده يمثل عقابا.. فإصدار صوت بالعصا كفيل بأن يزجر الطفل ويجبره على الالتزام. وفي الحقيقة أولئك الذين يمتهنون الضرب وسيلة وحيدة مستمرة للتربية يتفاجأون بطفل قد ولّد مناعة ضد الضرب أو امتهن طرقا ملتوية للهروب.. ولو ضرب باستمرار وبأشد درجات القسوة، فلن يردعه شيء عن المضي في أمر يريده، ولهذا فلابد من حكمة في استعمال أسلوب الضرب حتى لا يصبح وبالا وينقلب الطفل إلى مجرد معاند شرس لا تؤثر فيه أي وسيلة قسوة ويسد الأبواب في وجه مربيه. ومن يتأمل حديث رسول الله – ﷺ– : (مروا الصبي بالصلاه إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها) ، فعليه أن يتفكر كيف جُعل الضرب على الصلاة والتي هي ثاني ركن عظيم في الإسلام إذا بلغ الطفل سن

العاشرة فكيف يضرب لما دونها من أخطاء ولما دونها من أعمار! إذن فالحكمة مطلوبة في العقاب.

سادسا: لابد من معالجة حالات الملل والتململ عند الطفل بابتكار أفكار تجديدية وإدخال بعض الحيوية في الفصل كتغيير المواضيع وإدخال كتب أو مطبوعات جديدة وتغيير أسلوب الالقاء أو حتى تغيير أجواء المكان بإضفاء بعض الزينة والبهجة وغيره من أفكار.

سابعا: أسلوب القصص مهم جدا في التلقين لقوة تجاوب الأطفال معه، ولهذا فإن قصص الأنبياء والصحابة والصالحين تستغل لتلقين السلوك الإسلامي الراقي والأدب الرفيع والأخلاق الحميدة.

ثامنا: التدريس فن وعلم ولا يمكن أن يكون مجرد أداء أجوف يلتزم بقانون معين، بل هو مرن يتكيف بحسب شخصيات الأطفال ودرجات تفاعلهم وقدراتهم وتغيرات ظروفهم، لهذا فإن المعلم هو أول من يكتشف المواهب ويعمل على تنميتها.. وهو أول من يدرك نقاط القوة والضعف لدى كل طالب وهو الأعرف بسلوكيات وطباع تلاميذه وتغيراتها.

تاسعا: بعض اللعب والترفيه والعمل الجماعي مهم جدا في نمو سليم للطفل لهذا فليعش الطفل طفولته ولا يحرمها تحت أي ظرف كان، فخلق اللحظات السعيدة سيكون له أثرا طيّبا في بناء شخصية مسلمة متزنة خادمة باذلة بلا

كلل ولا ملل في سبيل رضى ربها. ثم إن تشجيع الأطفال على التعاون والعمل معا لأداء بعض المهام، يولد لديهم قابلية للعمل الجماعي في المستقبل داخل الجيش أو الكتيبة أو المكتب.. فنحن نعد جيلا يعرف معنى البنيان المرصوص والصف الواحد والتعاون على البرّ والتقوى وخفض الجناح للمؤمنين والإحسان والإيثار والمشاركة وغيرها من مبادئ الرقي التي ترفع مقام النفس البشرية لمراتب السموق. وفي الصحيح عن النعمان بن بشير قال رسول الله– ﷺ – : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

عاشرا: التربية والتعليم بمحبة لا بكراهية هي التي تؤتي أكلها فمن وجدت في نفسها صعوبة على تولي هذا الثغر لتتركه لمن هو أقدر، وفي هذه الحال يمكن استدعاء معلم متفرغ له الخبرة والقدرة الكافية على العناية بجيل المستقبل الفتي.

الحادي عشر: لابد من مراعاة الحالات المرضية والنفسية للأطفال .. وبحث أسباب التراجع الدراسي أو التغير في السلوك أو العنف، فدائما هناك أسباب قد لا تظهر بداية ولكن تتضح مع البحث.. وهذا يتطلب دوام الاتصال بين المعلم وأولياء أمر الطفل.

الثاني عشر: إن الإهانة المستمرة والتحقير المتزايد للطفل يفقده الثقة بنفسه ويكسبه بغضا لأهله ومعلمه بل ويشوش عليه الانتقال الطبيعي خلال أطوار التربية والتعليم المتتالية، فلا أفضل من رباط الاحترام بين الطرفين، وهذا الطفل

أمانة في أيدي مربيه، ليس حيوانا يسلط عليه السوط عند كل خطأ، بل هو ذخر للأمة وجب الصبر على تقويمه واستقامته وهدايته لنور الله وكذا بذل جميع الأسباب في سبيل بناء شخصية مسلمة مجاهدة تعز الإسلام والمسلمين.

الثالث عشر: لابد في التربية من العدل في المعاملة والعقوبة والنفقة والهِبَة والملاعبة ولا يقبل تمييز أحد الأولاد عن غيره. ففي الحديث عن النعمان بن بشير – ﷺ – قال: "تصدق عليّ أبي ببعض ماله" فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله –ﷺ– فانطلق أبي إلى النبي –ﷺ– ليشهده على صدقتي فقال له رسول الله –ﷺ–: (أفعلت هذا بولدك كلهم) قال :لا ، قال :(اتقوا الله واعدلوا في أولادكم) فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

- **الرابع عشر**: بعض الحزم مهم في التربية، فلا نلبي جميع طلبات الطفل فيفسد، ولا نضعف لبكائه أو غضبه فيدرك أنه طريق مسدود لا يوصل لأهدافه، فإن كان طلبه بهدوء وأدب واحترام يُعطى عند الإمكان ويُثنى عليه.
- **الخامس عشر**: بعض التعليم يحتاج لأن نترك الطفل يجرب بنفسه ويعيش الخبرة بذاته فيترسخ ذلك في عقله ولا ينساه أبدا .. كذلك بعض العلوم لابد فيها من تطبيق ومشاهدة بصرية لا تقتصر على النظري، فوجب العناية بالنظري والعملي أو التطبيقي معا في المنهج التعليمي.
- **السادس عشر**: من أهم أسس التربية الإسلامية القويمة تعليم الطفل احترام والديه ومعلمه ومن يكبره سنّا، وقد يحاول بعض الأطفال خاصة الذكور

منهم التمرد على هذه القاعدة فيقللون من احترامهم ويرفعون أصواتهم أو يعبرون عن استنكارهم بطريقة سيئة، وحينها لابد من حزم يعيد الطفل لمرتبة الاحترام .. ومن تلقين الطفل ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء].

- **السابع عشر**: على المربي أو المعلّم أن يسيطر على مشاعره في التربية وكلّما انتابه غضب، ليتذكر حديث رسول الله - ﷺ- وهو يوصي أحدهم (لا تغضب) وقد كرّرها ثلاثا.. وكما قيل فإن على المرء أن يلجم غضبه بلجام الحلم ذلك أن الغضب كالكلب إذا أفلت أتلف..! ثم ليحذر فإن الأطفال ينظرون إليه ويقلدونه ويتعلمون منه.. وفي الواقع لم أر أسوأ من الغضب في إفساد طرق التربية ولا أكثر منه هدما للبنيان وفي المقابل لم أر أروع من الحلم والأناة في تعامل المعلّم أو المربّي.

أما إن تعذر توفير وسط مدرسي مصغر، فعلى كل أم أن تتحمل مسؤولية تعليم أبنائها وأن تنظم وقتها بحيث لا تنقطع عن التدريس بسبب مشاغلها الأخرى ، فتخصص التوقيت الذي يضمن لها استمرارا وتعليما مثمرا.. ولتحتسب جهدها.. قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-: "أيها الناس احتسبوا أعمالكم ..

فإن من احتسب عمله .. كُتب له أجر عمله وأجر حسبته"، و لتتذكر ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق_ 6].

ولها أن تتبع نفس النصائح السابقة لإدارة مدرسة مصغرة في البيت، مع العلم أن بعض الأمهات قد يجدن صعوبة في توفير المناهج، ولتجاوز هذه العقبة فقد وفّرت بعض الثغور الجهادية برامجها التعليمية الخالصة من شوائب التمييع لعقيدة الطفل السليمة وهي مناهج خاصة بالعلوم الشرعية، فلتستعن بها، وأما بالنسبة للعلوم الأخرى فيمكن الاستعانة بالمناهج التعليمية من المدارس النظامية لتعليم العربية والرياضيات وعلوم الأحياء والجغرافيا وغيرها.. بشرط أن تتم مراجعة المواد واستبدال العبارات التي تهدم لا تبني شخصية الطفل، وأذكر هنا مثالا .. حين تصفحت كتابا لتعليم اللغة العربية منهاج السعودية، كان مدرجا كسؤال للطلبة حول قضية فلسطين، ماذا يمكننا أن نقدم لأهلنا في فلسطين؟ فكان الجواب المقتصد: نقدم لهم الدعاء. نقطة وكفى، وهذا ما يعلمونه اليوم أطفال المسلمين في حين يعد يهود جيلا يتعلم أن عدوه الأول هو المسلم وأن ما يجب عليهم القيام به هو الإعداد لقتاله! في مثل هذه الحالة نقوم بتصحيح الجواب ونجعله، نقدم لهم الإعداد والجهاد والإنفاق وفي أضعف الإيمان الدعاء. وفي هذا المقام لا يفوتني توجيه دعوة لكل غيور على دينه وأمته من أصحاب الهمة والاختصاص، لإخراج مناهج علمية نقيّة خاصة بهذه الأجيال المباركة، وأن يحرص على توفيرها بشكل يسهل الوصول إليه، وقد بذلت جهود في هذا الصدد لكن ظروف الهجرة تجعل العمل بطيئا وقد يطول كثيرا حتى نرى ثمار هذه المناهج.

ومسألة تعليم الطفل في البيت ثبت أنها ليست طريقة أهل الهجرة والجهاد فقط، بل أسر كثيرة في العالم تفضلها تفضيلا خاصة في الغرب، فلا ترسل أبناءها للمدارس النظامية وتختار التدريس في البيت وفق برنامج متبع مدروس يكشف في الأخير البون الشاسع بين مستويات المدارس النظامية والتعليم بالبيت، حين يكون المعلم مقتدرا .. ويدرك الأطفال بسرعة ويتعلمون بكفاءة أكبر في المدارس البيتية عنه في المدارس النظامية .. والقصص في هذا الباب لا يمكن حصرها ولكن تقارير غربية عديدة نشرت بهذا الصدد تشيد بكفاءة هذا النوع من التعليم وقدرة الطفل على بلوغ مستويات أعلى بكثير من مستويات أقرانه في المدارس النظامية تدعونا للتأمل وقد شهدنا على هذا في واقعنا المعاش.

أيضا لابد من التنبه للمصطلحات التي يتم استعمالها في الأمثلة، فلا شك أن أفضلها ما تعلق بديننا الحنيف وشريعتنا الغراء وأخلاقنا السامية، ما لم يخرج من دائرة التزامنا بالاستقامة، فلا نستعين بالموسيقى ولا آلات اللهو لضرب مثال أو تقديم شرح، كما أننا لسنا مطالبين كمجاهدين أن نتحدث عن الدماء والأشلاء مع طفل لم يبلغ ولم يعرف بعد شيئا عن تفاصيل هذه الحياة، ولكننا نغرس فيه الشجاعة والنبل وحب الإسلام والاستقامة والاعتزاز بتاريخ المسلمين والدراية التامة بواجبه تجاه دينه وأمته، ننمي فيه الخلق الحسن ومحبة المسلمين ونرعى فيه الغيرة على محارم الله والحرص على فروض الإسلام بما فيها الجهاد في سبيل الله، لدينا مراحل كثيرة لابد أن نبني فيها شخصية المسلم المستقيم والملتزم قبل أن نطالبه أن يستوعب الدماء والأشلاء.. نحن نبني جيلا مجاهدا

تربى على قيم وتعاليم الإسلام العظيم ليبني مجدا ويبني حضارة ويقيم شريعة ربانية لا لمجرد سفك الدماء !

وكما يقال فإن هذا الطفل نبتة تنبت في تربة غنية، لا نكلف ساقه أكثر من قدرتها فنكسرها، بل نحمّله بقدر صلابة ساقه.. حتى يصبح تلك الشجرة القوية الجذع المتجذرة في الأرض لا تخلعها ريح، تزهر وتثمر وتنفع! ولهذا فإن ما يقع فيه بعض المربيين في بعض الجماعات التي تفرض على الطفل ممارسة الذبح وطرق القتل بحجة إرهاب العدو أو تعليم هذا الطفل إرهاب العدو، فهذا النهج يحرق المراحل وقد يحطم مستقبل هذا الطفل للأبد .. فأصحابه لا يدركون أهمية الاستقامة قبل حمل السلاح ولا أهمية ترسيخ العلم قبل إنزال الأحكام وتطبيقها ولا أهمية الإدراك قبل التطبيق.. وفي الأخير فهم لا يقدمون الصورة الحقيقة لسمو رسالة الإسلام في عبادة الجهاد بل يقودون الطفل لانفعالاتهم وردودهم اللحظية دون أدنى تقدير للعواقب التي قد يجنيها هذا الفعل. فالجهاد ليس مجرد عملية انتقام بل هو فريضة ربانية لها أحكامها ولها غاياتها العظيمة.

فلنبني جيلا مسلما حقا ومجاهدا حقا، ولولا الإسلام لما كان الجهاد، ولولا الاستقامة لما ساد أهل الجهاد.

❖ التربية والتعليم الإعدادي:

حين يطرق الطفل أبواب العاشرة، يكون التمييز عنده قد بلغ النصاب بشكل واضح، وتصبح أسئلته أعمق وبصيرته أنفذ، وقد تتفاجأ الأم بطفل رجل في عمر صغيرة، وغالبا ما يكون الطفل في هذه العمر قد أتم حفظ أو على مشارف إتمام حفظ كتاب الله، وقد بدأ الصلاة والالتزام بفرض الإسلام الثاني وربما الثالث.. هنا نتحدث في سلم الأعمار الجهادية عن تعليم إعدادي، ولاشك أن باب توسيع المناهج يحتاج لتخصص أكبر ربما لا يمكن لكثير من الأمهات تقديمه لأبنائهن، ولا أقل من البحث عن معلم أو شيخ يتكفل تعليم هذه العقول المتعطشة.

وفي الواقع فإن الذكور في الساحة الجهادية لا يواجههم خطر الأمية أو الجهل كثيرا، فالمجاهدين يعتنون بهؤلاء الأشبال ويوفرون لهم التعليم اللازم لمسيرتهم، ولكننا عادة ما نحمل همّ الفتيات، كونهن في البيوت وغالبا ما يحرمن تعليما يستمر لمستويات متقدمة، لظروف الرباط والوضع الأمني وأسباب قد تختلف من ثغر لآخر، وهذا التحدي قد يتضح منذ أن تصبح الأم غير قادرة على توفير مستوى تعليمي يتناسب وحاجة أبنائها، ولكن إن كانت الأم متعلمة فهذه لا تعد عقبة البتة وتستمر في أداء واجبها في التعليم بتطوير المنهاج وتوسعته بشكل يتناسب وأعمار أبنائها المتقدمة كذلك الحال في المدارس الأسرية المصغرة أين يكفي تطوير المناهج والمتابعة الجادة لتخطي هذه المرحلة بكفاءة.

بعد سن العاشرة لابد أن يتعلم الطفل المتون والفقه والعقيدة ويتعمق أكثر في العلوم الشرعية، وبحسب نبوغه بحسب سعة منهاجه، فقد رأينا أطفالا فاقوا أقرانهم وهم في عمر مبكرة، وفي نظري وحسب التجربة، أرى الضرورة الماسة لتعليم الحساب وبعض علوم الأحياء والجغرافيا والتاريخ وغيره في هذه المرحلة.. ذلك أني لمحت رغبة كبيرة جدا عند الأطفال في هذه السن لتوسيع معارفهم في علوم غير الشرعية، وأيضا للحاجة النفسية لفهم العالم الذي خلقوا فيه، وما أجمل ذلك التدريس العلمي الذي يربط كل شيء بعظمة الخالق وينمي عبادة التفكر في خلق الله ويجعل من العلوم وسيلة للتقرب من الله سبحانه وتعالى، وكذا لتقوية الصفّ الجهادي، قال عمر بن عبد العزيز – ﷺ –: "الكلام بذكر الله، عز وجل، حَسَن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة". وقال بعض الحكماء: "من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطَمَسَ مِنْ بَصَرِ قلبه بقدر تلك الغَفْلَة". وقال بِشْر بن الحارث الحافي – رحمه الله –: "لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه". وقال الحسن، عن عامر بن عبد قيس – رحمهما الله – قال: "سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر". وقد ذمّ الله تعالى مَنْ لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال في سورة يوسف: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ومدح عباده المؤمنين في سورة آل عمران فقال: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ قائلين ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا ﴾ أي: ما خلقت

هذا الخلق عَبَثًا، بل بالحق لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى كما جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآيات العظيمة.

وقال تعالى في سورة عبس : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (26) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (27) وَعِنَباً وَقَضْباً (28) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (29) وَحَدَائِقَ غُلْباً (30) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً (31) مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.. وتلك ذكرى لأولي الألباب.

وفي هذا الباب، أنصح بالاستعانة بالمناهج العلمية المتخصصة، التي يتعلم بها الطفل الحساب وعلوم الأحياء وتفصل له الجغرافيا ويتوسع في هذا الباب بحسب درجة استيعاب الطفل، وأيضا لا أجمل من سرد تاريخ منظم متسلسل يبتدأ منذ قصة خلق آدم عليه السلام إلى عصرنا اليوم، بشرح يناسب الأعمار التي يتم تلقينها ويتوسع فيه تدريجيا حتى آخر مستوى.

ذلك أن الطفل يخرج في هذه المرحلة التي تمتد من العاشرة إلى سن البلوغ برصيد كبير من المعرفة الشرعية والعلمية تؤهله لتوظيفها في جهاده بإذن الله.

وقد توفرت معاهد في بعض الساحات الجهادية تقوم بتوفير برامج متكاملة لتدريس هذه المواد بما فيها الشرعية للأطفال المجاهدين، وقد يضاف عليها تعليم اللغة الانجليزية – لغة العدو- في بعضها.

أما التربية في هذه السنّ فلاشك أن الطفل قد طور شخصية بدأت تنضج، وخلق علاقة احترام بين المربي والطفل أمر مهم جدا، فلا نتكلف الضرب في كل تقويم، بل لابد من استيعاب التغيرات التي قد يتفاجأ بها الطفل في سن البلوغ ويتم تجهيزه نفسيا لها، فلا يعامل كطفل صغير، بل يعامل كشاب عاقل ما يكسبه اتزانا ونضجا محببا، وسيتفاعل الطفل في هذه المرحلة التي شارف فيها على البلوغ بثقة في النفس أكبر من ذي قبل، مثال على ذلك، يعامل الذكر بإسداء بعض المهام الخاصة به كتولي تصليح شيء أو حفظ سر أو تنفيذ طلب يشعره بأهميته.. وقد عني رسول الله – ﷺ – بحفظ السر لدى الأطفال، كونه خُلق يكتسب وله تأثير عميق في بناء شخصية المسلم العاقل الأمين، يقوي الإرادة لدى الطفل ويضبط لسانه ويعلمه رباطة الجأش، كما يغرس الثقة في النفس. وكذلك الفتاة بتحميلها مسؤوليات تجعلها تشعر بنضوجها وثقة أمها بها، كصناعة نوع من الطعام المحبب أو تولي العناية بطفل أصغر أو تدوين ملاحظات مهمة، والأمثلة في ذلك كثيرة، كما يفضل أن يعود الطفل تنظيف الغرفة وترتيب الأغراض والاهتمام بنظافته الشخصية والحرص على ترسيخ أدب النظام في سلوكه، فلا يرضى بالفوضى من نفسه ويحرص على رعاية أغراضه فيحفظها ويدرك قيمتها كما يدرك أهمية الوقت واحترام مواعيد الأسرة في الطعام والاجتماع وغيره.

في هذه السن من المهم تقديم هدايا تناسب متطلبات هذه المرحلة العمرية في التعليم وتوسيع الثقافات، منها توفير حاسوب للأطفال لتعليمهم كيفية التعامل معه واستعماله أو توفير مكتبة غنية بالكتب المشوقة والتي فيها قصص بطولات

المسلمين.. لنزرع فيهم حس القراءة وحب المطالعة، ولا زلت أرى المطالعة والقراءة أكبر وأهم باب لنيل المعرفة، فإن تمكنا من تعويد أطفالنا عليها منذ سن صغيرة جدا، فإننا نمدهم بسر عظيم من أسرار التعلم، ولهذا لا أفضل من تعويد الطفل منذ إتقانه القراءة على قراءة القصص الهادفة والكتب وسؤاله أسئلة لمعرفة درجة فهمه واستيعابه، ولما لا إنشاء مكتبة صغيرة يرتادها أطفال المجاهدين، أو خلق روح المنافسة بين الأقران في تلخيص قصة أو تدوين فوائد كتاب انتهى الطفل من قراءته لما في ذلك من أهمية. قال الشعبي — رحمه الله – : "إذا سمعت شيئا – أي من الفوائد العلمية – فاكتبه ولو في الحائط".. ومن واقع التجربة فإن ظروف الرباط أفضل محفز للطفل على القراءة فهو بحمد الله بعيد عن الكثير من مظاهر التسلية والانشغال باللهو، وقد رأيت طفلا في التاسعة متذمرا ساعة ثم وجد كومة كتب بجانبه، فأخذ يقرأ ما فيها ويستمر حتى انتعشت روحه وانفرجت أساريره، فكان هذا سببا للجوء الطفل للقراءة التي أصبحت بعد ذلك من هواياته المحببة لما استفاده من معلومات وأثرى ذاكرته به من معرفة وملأ فراغه به من عمل.

وجميل أن نعلم الأطفال في هذه المرحلة العناية بمقتنياتهم وحفظها، ذلك أن حياة الجهاد حياة زهد وبساطة وإن تعلم الطفل قيمة الشيء كسب خصلة رائعة في مستقبله ولم يبخس أي حق!

ومن أساليب تعزيز ثقة الصغير بنفسه ونضوج فكره، تعليمه الإدارة المالية، بتخصيص مصروف بسيط خاص به ومراقبة طريقة صرفه وتوجيهه في استعمال

المال، ذلك أن الإدارة المالية المتزنة تزرع في الشخصية حسن التصرف في عمر كبيرة وتعلمه القدرة على الوسطية في الانفاق والبصيرة في طرق الانفاق أيضا.. فيقبض ويبسط حسب الحاجة.. كما تصونه في طفولته من امتهان السرقة والكذب في سبيل الحصول على بعض المال. وهو سلوك قد ينتهجه بعض الأطفال في مرحلة من حياتهم دون إدراك لعواقبه أو تصنيفه، فمن وجدت هذا في أطفالها فعليها تقويمه بالموعظة وسد باب الحاجة وخلق شعور الاكتفاء والاعتزاز لدى أطفالها ولتستمر ولا تملّ.

وأضيف لهذا أهمية الترفيه على الطفل بمشاهدة الإصدارات الجهادية والوثائقيات المثقفة العلمية والتاريخية وحتى العسكرية ... تلك التي تبسط التاريخ وتشرح علما وتعرض أنواع الحيوانات وتصور خلق الله في الأرض وفي السماء.. تعلم الطفل كيف ينزل المطر وكيف تعمل الكهرباء وكيف تكون الجاذبية الأرضية، بمعنى توسيع ثقافة الطفل ليفهم العالم الذي يعيش فيه ويدرك عظمة خالقه وحكمته.

ثم إن توفير بعض البرامج على الحاسوب سيساعد الأم كثيرا في اختصار ساعات التعليم، فبعض الموسوعات التعليمية تعلم الطفل أنواع الحيوانات والخرائط وتطلعهم على طبيعة أجسام الأحياء كالإنسان والحيوان والنبات والكائنات الدقيقة ويتعرفون على المجرة والكواكب وكل ما يغذي أفكارهم التي تتعطش للمزيد.

وكما أسلفت هذه السن حساسة، تتعامل فيها الأم برفق وتخاطب روحا بدأت تستوعب الكثير مما يدور حولها ولهذا فإنني أرى من المهم جدا تبيان واقع الأمة للأطفال في هذه المرحلة، بالحديث عن اغتصاب اليهود لفلسطين وعدوان الأمريكان على المسلمين وحربنا بين الحق والباطل وامتدادها منذ أمد بعيد، وإعطائهم بعض المعلومات التي توضح لهم صورة الصراع فيكونون بذلك على بصيرة أكثر بما يجري حولهم، وقد تجد عند الطفل قدرة كبيرة على ربط الأحداث والتعلم مما يجري اليوم والاستفادة منه لاحقا في مستقبله الجهادي .. إن شاء الله.

وأتحدث هنا عن تفصيل واقعي نربطه بمستقبل نؤمن به.. وبذلك نعزز الثقة لدى الطفل أن المستقبل لهذا الجهاد بوعد من الله حق.

ومما أنصح به أيضا في هذا الشأن، هو تعويد الذكور في سن قبل البلوغ وما حوله على معسكرات التدريب المصغرة التي يتدربون فيها على مختلف التمارين الرياضية وركوب الخيل والرماية، ذلك أنها تكسبهم جلدة وحبا للجهاد عظيم، ولقد شاهدنا صغارا يفرون للمعسكرات حبا وشغفا قبل أن يشتد عودهم وهي معسكرات جعلت للكبار، ولهذا فلو خصصت في كل سنة مرة أو مرتين تجمعات كهذه للأطفال فهي مفيدة نافعة.

وإلا فإن بعد البلوغ أغلب أطفال الجهاد يمضون لساحات الرجال وهناك يصنعون صناعة ويصقلون صقلا.

❖ التربية والتعليم الثانوي:

حين أتحدث عن هذا المستوى في ساحات الجهاد فأنا أتحدث الآن عن مرحلة يقف فيها المجاهد الصغير أمام أول خطوات له لمستقبله المنتظر، ففي هذه العمر وتحديدا بعد سنّ الرابعة عشر والخامسة عشر .. يتوجه الذكور إلى تخصصات جهادية بحسب رغبة الشاب، فمنهم من يحبب إليه تعلم التطبيب والإسعافات وعلاج المجاهدين فيتجه إلى هذا المجال أين سيتلقى دورات تعليمية تؤهله للوقوف على هذا الثغر بعد إتمامه الإعداد العسكري، ومنهم من يحبذ التدرج في التدريب العسكري حتى يتخصص في فرق خاصة أو يتعلم المتفجرات أو يتعمق في العلم الشرعي ليكون طالب علم مجاهد، أو يتعلم أحد الفنون الجهادية فيتخصص فيها، وفي الواقع من الصعب تحديد خيارات المجاهدين الصغار ذلك أنها تختلف بحسب خصوصية كل ثغر وطاقات كل فرد، وفي الأخير ، فالذكور يتوجهون إلى ساحات التدريب ومعسكرات البناء ودورات التعليم ومن هنا يبدأ الجيل الجديد يخطوا خطواته نحو جامعة العطاء، أغلبهم حافظ لكتاب الله وملمّ بالعلوم الشرعية والعقدية والسنة النبوية كحد أدنى من المعرفة.

أما الفتيات فكثيرا ما يكون الحديث عن إعدادهن لتحمل مسؤولية الزواج والإنجاب والتي لا تقل أهمية عن الإعداد في معسكرات التدريب، مع أن لي رأيا في هذا الباب هو أن لا يتم دفع الفتاة للزواج قبل أن يتم إعدادها لتحمل مسؤولياتها كراعية بيت وزوجة وأم وأن يفتح لها باب التعليم الشرعي الواسع، ذلك أن بعض الفتيات يتمتعن بقدرة على الحفظ والتعلم قد تفوق الرجال كثيرا، ولكم نتوق لأن

نسمع عن محدثة في بيت فلان أو حافظة عالمة بالتفسير في بيت فلانة، فإن الزواج سنة في الحياة ولكن الهدف، ليس أن تتزوج الفتاة وينتهي دورها في القيام على زوجها وبيتها وكفى، بل أمامها وظيفة عظيمة ألا وهي عبادة ربها، ولو أننا زرعنا هذا الفهم الصحيح في أذهان الفتيات لكنا أسسنا أمهات "مدارس متفقهة" مؤهلة لإعداد أجيال من المجاهدين أكثر قدرة على تحمل ما هو آت، وبشكل أفضل مما أعددته أمهاتهن.

لا زلت أرى وأنصح الأخوات في أراضي الجهاد على إبداء الإهتمام الكبير بالفتيات في هذه السن، وأن لا يبتدأن الحديث مع الفتاة عن الزواج وتشويقها له كهدف أولي، بل لكل أجل كتاب، ونصيب كل فتاة لا محالة قادم، فلنعلمهن البذل في العبادة والمسابقة في طلب العلم والتعمق في العلم الشرعي واللغة العربية فهن مدارس وجب إعدادها بشكل أكثر إتقانا مما تربين عليه.

وفي هذا الشأن أطرح بعض المقترحات لعل الله ينفع بها:

أولا، في مثل هذه العمر أغلب الفتيات قد أتممن حفظ كتاب الله ولا أفضل من تسطير برنامج متقدم متخصص بحسب رغبة الفتاة، في تفسير أو علم حديث أو سيرة وتاريخ أو لغة عربية أو فقه ... ثم يستعان ببرنامج يقترحه شيخ صاحب اختصاص ثم توفر للفتاة الكتب والدروس والمحاضرات اللازمة لدراستها، ويتم متابعتها وامتحان درجات استيعابها عن طريق معلمة قادرة على

تقييمها وتدريسها أو يشرف على ذلك شيوخ أصحاب علم في ساحات الجهاد، ومثل هذه الدراسة تشبه إلى حد ما الدراسة عن بعد أو الانتساب للجامعات.

ثانيا.. تخصص للفتيات في مثل عمرها لقاءات أو اجتماعات يتبادلن فيها الأفكار والعلوم والثقافات اللاتي اكتسبنها، قال علي بن أبي طالب - ﵁-: "في المشورة سبع خصال: استنباط الصواب واكتساب الرأي والتحصن من السقطة وحرز من الملامة ونجاة من الندامة وألفة القلوب واتباع الأمر".

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- وكان طفلا صغيرا.. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن في الشجر شجرة لايسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟" فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت.. وقال في رواية: فأردت أن أقول هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم.. وفي رواية أخرى: ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم.. فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه.. لقد وقع في نفسي أنها النخلة، فقال عمر -﵁-: لئن تكون قلتها أحب إليّ من أن يكون لي كذا وكذا..! وهذا من فقه عمر -﵁.

وحبذا لو تتلاقح أفكارهن فيخرجن بمشاريع مثمرة نافعة، كتأسيس مدرسة للأطفال الأصغر سنا وإدارتها بطريقة احترافية، أو العمل على إخراج مجلة أو نشرة دعوية توزع على بيوت المجاهدين والأسر المجاهدة .. أو تحرير مجلة تناسب أعمارهن للفتيات أقرانهن.. أو الاهتمام باليتامى وأبناء الشهداء، أو العمل على جمع النفقات والتبرعات لذوي الحاجة ولأهل الجهاد، أو تشجيع الصناعات التي

تفيد المجاهدين وإدارتها بطريقة منظمة، أو فتح مدارس لمحو الأمية للنساء الأكبر سنّا، أو فتح مكتبة خاصة بالنساء والفتيات لاستعارة الكتب وتبادل المؤلفات، وأبواب الخير كثيرة لمن تسعى، ويبقى الهدف في الأخير العمل على مشروع يجتمعن فيه فيبارك الله في جمعهن ويعلمهن بهاء العمل الجماعي في سبيل الله.

أما إن تعذر على الفتاة الاجتماع والالتقاء بفتيات من مثل عمرها، فيمكنها أن تتوكل على الله وتجتهد في عبادتها وذكرها ودراستها وتوسيع ثقافتها وقراءتها فتتذوق لذة التقرب من الله بالعلم والمعرفة، ولا تكون أسيرة التفكير في زوج المستقبل، ذلك أنه حين سيطرق الباب ستكون قادرة بإذن الله على أن تقر عينه كزوجة مجاهدة وأم واعية لا فتاة لا تدري من أين تبدأ حياتها قد تجاذبتها الأهواء.

ولا يعني أن تهتم الفتاة المجاهدة بالعبادة والعلم أن تهمل نفسها من ناحية الاعتناء بجمالها وزينتها وإدارة بيتها ذلك أن الله خلق فيها الأنوثة ولا شك أن النساء بالفطرة مجبولات على ذلك، وهي كذلك مقبلة على حياة زوجية هي مطالبة فيها بحسن التبعل وإقرار عين زوجها .. لهذا لا تظن ظانة أن الفتاة المجاهدة ليست بحاجة لتعلم هذه الفنون من تجميل وزينة وكذا طبخ وعناية بنفسها وبيتها.. بل هي من فروض العين! ولا أفضل من تشجيع الفتيات على إدارة البيوت في هذه السن من ناحية تولي مهام الطعام والتنظيم والتنظيف فتصبح قادرة على القيام بمسؤوليات البيت بمفردها وقد تبدع بعضهن بشكل ملفت بابتكاراتها وتفوقها في هذا المجال فتكون ربّة بيت من الطراز الفريد. وقد شاهدنا أمثلة رائعة لفتيات جمعن بين العلم والعبادة والعناية بجمالهن وأخلاقهن وبيوتهن ما يدعو للاستبشار ولله الحمد والمنّة.

والمجاهدون في نهاية المطاف، ليسوا إلا جزء لا يتجزأ من هذه الأمة المسلمة بمشاعرهم وأحاسيسهم وأذواقهم المتشابهة، لكنهم سابقوا للتضحية بكل ما يملكون في سبيل نصرة هذا الدين ونصرة هذه الأمة.

إذن هذه المرحلة التي تمتد من سن البلوغ إلى حدود السن السابعة والثامنة عشر هي مرحلة مهمة جدا، فقد أصبح الطفل شابا مجاهدا وأصبحت الفتاة شابة مجاهدة ولم نعد نتحدث عن أطفال بل عن شباب بشخصيات ناضجة تقاسمنا أحلامها وآلامها وتعبر وتنتقد ولها وجهات نظر وجب الاهتمام بها وحسن إرشادها وتوجيهها بأساليب تناسب هذه المرحلة العمرية، أما التعامل مع مشاكل هذه السن فيختلف من بيت لبيت ومن شخصية لشخصية لكن لا شك أن الصبر والحكمة والمحبة هي خير دليل للأم والأب في استيعاب أطفالهم الذين كبروا.

في مثل هذه المرحلة قد أصبح الفتى والفتاة على معرفة أعمق بما يجري حولهم والحديث عن الأخبار وتغيرات الساحة السياسية والعسكرية لا بد أن ينال نصيبا من نقاشاتهم ويقتطع جزء من اهتماماتهم.. كما أن الاطلاع على التحليلات والدراسات لا شك سيكون مفيدا في صقل مواهب تفكيرهم فلا أفضل من إشراكهم في دوائر النقاش والحديث عن المستجدات في كل مجالات الأخبار التي تتصل اتصالا مباشرا بقضايا الأمة الإسلامية.

ورغم أن الطفل المجاهد يعيش هذه الأجواء من متابعة تطورات العالم والساحة الجهادية بشكل مستمر منذ أبصرت عيناه النور، إلا أن انخراطه في ساحات النقاش والمتابعة سيصقل الكثير من مواهبه وسيخلق لديه شعورا رائعا من المحبة لهذه الأمة والاهتمام لأمرها، ومما يحضرني من مواقف طريفة في هذا الصدد أن أحد الأطفال الصغار كان يستمع لأخبار العالم وكان كثيرا ما يسمع ترديد إسم باراك أوباما، فيدفعه ذلك لطرح أسئلته العجيبة: كم سيبقى أوباما في الرئاسة؟ وما هي أهدافه؟ وماذا سيكون مصيره بعد نهاية مدة رئاسته! وقد كان يتابع هذا الأمر وهو في الثامنة من عمره باهتمام كبير وحين سمع بخبر تولي دونالد ترامب القيادة للحرب الأمريكية على المسلمين، تحول اهتمامه للرئيس الجديد الذي وصفه بالأحمق المنهزم عند مشاهدة أول تسجيل له! فقد بنى رأيه في ترامب بناء على تصرفاته الخرقاء أمام العامة وقد أصاب، ومن الطرائف في هذا الباب، أن أطفالا سمعوا أخبارا تتحدث عن فلسطين فسارعوا لأمهم يسألونها: نريد أن نرى في الخريطة كم نبعد عن فلسطين! ورسمت الأم لهم الخريطة وما أن انشغلت عنهم حتى وجدتهم يعيدون رسم الخريطة ويرسمون عليها الأسهم التي تتوجه من أرض رباطهم إلى فلسطين.. حتى أصغرهم عمرا وكانت لا تتعدى الرابعة كان تقلدهم ثم علقوا خرائطهم في الجدار!

هذه العقول الصغيرة التي تتابع أخبار العالم وتهتم لأخبار المسلمين هي التي بإذن الله ستتجول في باحات الأقصى منتصرة لأمة الإسلام، اللهم آمين.

ولي هنا وقفة مهمة مع هذا الجيل الذي كبر ربما في ظروف أمنية استثنائية والذي أعتقد أنه جيل مميّز بمعنى الكلمة قد نضج قبل عمره وأبصر قبل غيره وحمل همّ أمته ودينه صغيرا فلا شك أن عطاءه سيكون غزيرا، لهذا لا أروع من أن تنمى مهارات الكتابة والتعبير لديهم، بتطوير لغتهم العربية وقدراتهم الأدبية، فإن الأقلام التي تحملها أرواح تنبض حبا للجهاد وتعيش في قلب الجهاد تكون سيالة بمداد من ذهب، إحساسها عميق وعطاءها كبير وبذلها صادق كما نحسبها والله حسيبها، وكم من أجيال ترعرت الآن وكبرت في محاضن الهجرة والجهاد تُكِنّ في صدورها معارف وأحاسيس لو وصلت للناس لاستطعموا لذة الجهاد وبركة هذه السبيل وكفى به تحريضا.. فاللهم استعملهم واجعلهم قرة عيون للموحدين في مشارق الأرض ومغاربها.

❖ سن البلوغ والتعامل معه:

كما هم جميع الأطفال يمرون بمنعطف حساس ومصيري في حياتهم، ينتقلون من طفولة وسذاجة إلى بلوغ وعقل كذلك حال مجاهدينا الصغار الكبار.

وقد تواجه الأم الكثير من التحديات في التعامل مع شخصية ابنها أو ابنتها التي اختلفت فجأة أو بدأت تتمرد أو تنفعل بقوة أو تصدر صوتا أنها هنا، وبعد نظر فلا زلت أرى ضرورة احتراف فن الحوار مع الأطفال منذ الصغر وبذل الصبر اللازم لإعطائهم مساحة للتعبير والاستبانة.. فهذا سيسمح في مراحل متقدمة من حفظ

حلقة وصل طيبة وثقة بالنفس متينة وإن قرناها بتعامل يكسوه الاحترام والتقدير فضلا عن إسداء المهام والمسؤوليات التي تخلق شعورا بالنضج والثقة لديهم فإننا سنحقق الكثير في علاقتنا مع فلذات أكبادنا.

فعلى الأم والمربية أن تهتم بهذه المرحلة العمرية وتتقرب من أبنائها وتسمع لهم وتحاورهم بالحجة والبيّنة وتشغل فضولهم وطاقاتهم بمسؤولية من حجمهم، وتشركهم في القرارات والنقاشات وتوسع ثقافتهم بكل مفيد في قضايا الأمة والشريعة والعلوم المختلفة التي تتعلق بحياة الجهاد والهجرة.. وفي هذه المرحلة لا بد أن يعتنى عناية خاصة بكل شاب وشابة تجلّت في أحدهما النباغة والتميّز ويقدم له ما يستحقه من أسباب للمواصلة والتطوير والنجاح في فنون العلم كما في فنون الجهاد.

وإن ما نشاهده من تغيرات تطرأ على الطفل أثناء تحوله لمرحلة الشباب كائنة لا محالة ولكنها ليست بذلك الاضطراب الذي يصوره الإعلام في مجتمعاتنا العربية متأثرا بالطريقة الغربية وواصفا إياه بالمراهقة، مع أننا لا نحبذ استعمال مصطلح "سن المراهقة" كونه يفتقد دقة التوصيف ويعكس عقلية غربية في التعامل مع هذه المرحلة العمرية للطفل، فقد رأينا الشباب في هذه السنّ وهم لا يحملون ذلك التهور ولا يتصفون بذلك الجنون، بل أغلب ما يلاحظ عليهم بعض الحماسة الزائدة والاقدام المحمود. وهذا ولله الحمد من بركات التربية الإسلامية المستقيمة والرعاية الجهادية الفريدة. بل إن العديد منهم يتحمل مسؤوليات قد يعجز عنها من هو أكبر سنا منهم في مجتمعات أخرى غير جهادية.

وفي هذه الأثناء لدينا أجيال ولدت ونشأت وكبرت في ساحات الرباط والآن تدرس في معاهد ومعسكرات الجهاد تتخصص وتعد العدة لما هو آت، هي أجيال كاملة ولدت من آباء مهاجرين وأنصار، قد وصلت لمرحلة العطاء.. ويا لها من صورة رائعة لجيل مبشر قادم لم يعرف من الحياة أهم من الجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام والمسلمين وإقامة شريعة الله والرقي بحضارة الإسلام والعدالة الإسلامية في مراتب السموق. فاستبشري يا أمة الإسلام بعصر ذهبي قادم لا ذلة فيه ولا خنوع مع جيل لا يعرف الركوع إلا لخالقه!

وطوبى لمن كدّ ليخرج من رحم الأمة جيلا صفته الصلاح وعدته الجهاد، عن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال:(إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

❖ نفسيات وجب فهمها:

يعرف الطفل تقلبات نفسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بمحيطه، وأولها بنفسيات الأم، فلو كانت الأم سريعة الغضب سيتعلم منها كل صفات الغضب ويطبقها في وقت لاحق، وكذلك الحال مع مختلف ردات الفعل، في الواقع الطفل في مراحله الأولى عبارة عن مقلد بامتياز يأخذ من وسطه كل ما يشاهده ويخرجه من جديد دون دراية عن صلاحه أو طلاحه، ولهذا فالعناية بنفسية الأم أمر مهم لتبنى شخصية

طفل متزنة لا تغضب سريعا ولا تقدم على ردات فعل عنيفة، فحين تتصف الأم بالعقل والحلم والأناة، فهي تقدم المثال الأفضل لأبنائها في طرق التعامل مع المحيط، وعلى الأب أن يحرص على مراعاة نفسية الأم والاعتناء بمشاعرها لتكون أكثر جلدة على أداء وظيفتها وأكثر سعادة في إتمامها، وعلى الأم أن تراعي وجود أطفالها من حولها وأن تتجنب ردات الفعل التي تفقد فيها السيطرة على ألفاظها أو تصرفاتها فينقلها الطفل في ذاكرته بحذافيرها ويعيدها في وقت لاحق خلال تصرفاته وردود أفعاله مع إخوانه ورفاقه.. فتقع بذلك في ورطة صنعتها بيدها ويصعب عليها تقويم هذا الاعوجاج لأنها السبب فيه. وعلى سلوك الغضب نقيس بقية السلوكات.. ولا شك أن على القيادة الجهادية العناية بالأمهات الأيامى والاهتمام بهن كونه اهتمام بجيل يتربى في أكنافهن ويدخل في هذا النظر في احتياجاتهن حتى لا يحملن هموما ثقيلة تشغلهن عن إعداد هذا الجيل الصاعد.. ولله الحمد والمنّة فقد شاهدنا اهتماما محمودا من المجاهدين بنساء الشهداء والأيامى في ساحات الهجرة والجهاد يخفف عنهن أعباء المسير ويشد أزرهن في رعاية أبنائهن رعاية جهادية مبشّرة.

وفي كثير من الأحيان تكون نفسية الطفل كئيبة أو عصبية بسبب جوع أو تذمر وربما مرض.. ولهذا على الأم أن تهدأ الطفل بحبّ وتتنبه لتقديم الطعام في أوقات لا تتباعد كثيرا لدرجة يصل فيها الجوع لدرجة اللاتحمل وأن تكون مدبرة مفكرة، فإعداد الطعام فن وإتقانه واجب، لأن الأطفال أمانة وبناء أجسادهم مهمتك أيتها الراعية لجيل مجاهد، فاحرصي على تقديم الوجبات بالحد الأدنى من حاجيات أجسادهم وراعي ألا تخلو من حليب وبروتين وفيتامينات مختلفة، لتشاهدي نموا

طبيعيا ونفسيات طبيعية.. ولا أعني بهذا تعويدهم على الطعام الفاخر يوميا ولكن الابتكار للوصفات اللذيذة من الموجود عادة في بيوت المجاهدين، ولقد رأينا أمهات أبدعن في هذا المضمار، والجود من الموجود، فكيف إن اختلفت ألوان هذا الجود.

ومن الأفكار العملية في تفادي حالات الجوع توفير أنواع البسكويت في البيت والتي تحتوي البيض والسكر والحليب فتوزع على الأطفال حين يتأخر توفير الطعام لظروف ترحال أو خطر أو أسباب أخرى، دون أن ننسى التمر، فهو صديق المجاهدين، فيه الطاقة الكافية لتصبير هؤلاء الصغار.

وقد شاهدت في مناسبات مختلفة سعادة لا توصف لدى الأطفال عند تقديم الطعام الذي يشتهون ذلك أنه باب من أبواب السعادة لقلوبهم الصغيرة، وكلما برعت الأم في هذا الفن كلما كان صغارها بصحة ونفسيات جيدة سعيدة.

النفسيات لاتتعلق فقط بالجوع، فالتذمر باب قد تعرفه المهاجرة أو المجاهدة التي لا تملك لأولادها أي تسلية متجددة مفيدة خاصة في بعض المراحل التي تمر بها ويكون الوضع الأمني مضيّقا على حرياتها.. ولهذا فتنظيم برامج متعددة النشاطات خلال اليوم ومتجددة في الأيام الأخرى أمر مهم للأم حتى تتجاوز تعليقاتهم الحزينة حول التذمر والسأم والملل.. ذلك أن النفس البشرية جبلت على الاكتشاف والتغيير وتفر من الروتين والسكون الممل، وأفضل ما أنصح به الأم هو التركيز على القرآن الكريم وجعله وردا يوميا للحفظ والمراجعة مع الطفل لا تتركه وحده بل

تراجع معه، كأن تقرأ هي آية وهو آية إلى أن ينتهيا من الجزء أو الورد اليومي.. فيتشجع الطفل على هذا يوميا لأنه يرى والدته تشاركه قراءة القرآن، وفي الحقيقة إن أغلب أطفال الهجرة والجهاد قد دأبوا على قراءة القرآن يوميا وهذا له بلا شك بركته ومردوده الخيّر على نفسية الطفل وسلوكه .. وقد سألت يوما طفلا مهاجرا يبلغ من العمر تسع سنوات قد حفظ الكتاب، كم جزء يقرأه لمراجعة حفظه يوميا، فكان جوابه، جزئين كاملين في كل يوم .. وهو طفل يرتاد مدرسة تشغل وقته أغلب النهار، فكان هذا نموذجا لواحد من الكثير من الأطفال المجاهدين الصغار الذين يحرصون على حفظ القرآن ومراجعته دون أن يدفعهم لذلك أحد، ويعتبر الورد اليومي لديهم كفرض لا يحلو العيش بدونه بفضل الله وحمده.

كما أقترح أن تستغل الأم مهارات الابتكار لدى صغارها وتعليمهم صناعة الأشياء أو اكتشاف الطبيعة وعجائب الخلق، أو أن توفر موادا تعليمية مختلفة ثرية بالمعلومات وكل ما يشد انتباه الطفل من جديد وثقافي بحسب المرحلة العمرية.. مثل استعمال الأطلس والموسوعات التعليمية، والأقلام الملونة، والرسومات الملهمة الشرعية التي لا يدخلها رسم الأرواح.. كرسم الأقصى والكعبة أو رسم المناظر الطبيعية وربطها بعبادة التفكر في خلق الله سبحانه، أيضا التعليق على الظواهر الحياتية والمحيط الذي يعايشونه باستمرار بشكل مختلف يغذي ذاكرتهم بالمعلومات، كالحديث عن الجغرافيا أو علوم الحياة أو علاقة بعض المخلوقات بالأرض وغيره من قوانين الحياة البديعة التي خلقها الله سبحانه، فيصبح الحديث عن المطر قصة جميلة للسحاب الذي ينشأ ويسوقه الريح لينزل مطرا وهكذا، فيرتبط حسهم البصري بحس معرفي يوسع المدارك ويرفعهم لدرجة من التفكر عظيمة، تزيد من

تعظيمهم لخالقهم ويتبدد معها أي ملل، وبنفس الطريقة الحديث عن الطائرات وكيفية تسييرها وأهداف الكفار منها .. وعلى هذه الأمثلة نقيس، ولو تأملنا قليلا لوجدنا هذه الأجواء هي ذات الأجواء التي يرابط فيها المجاهد الساعات الطويلة ما يجعله من أكثر البشر صلة بخلق الله والتفكر في الخالق.

كذلك من وسائل شغل ذاكرة الطفل بالمفيد.. تعويده القراءة المفيدة المناسبة لعمره، وجذب انتباهه بالقصص الرائعة من التاريخ الإسلامي الماجد ولو استوعب في كل يوم قصة لكانت كافية لإرواء غليل هؤلاء المقبلين، وعلى هذه نقيس،

فمن خلا بالعلم لم توحشه خلوة   ومن أنس بالكتب لم تفته سلوة

وأضعف الإيمان إشراك الأطفال في واجبات الأم اليومية حتى يبتعدوا عن التفكير في الملل كما نعودهم بذلك خدمة أنفسهم والاستغناء عن السؤال.

أما عن تأثير البيئة فقد تبيّن أن تغيير المكان وتغيير المياه قد يتسبب في بعض الأمراض كنشوء الديدان عند صغار الأطفال، فكثيرا ما نرى الطفل كئيبا حزينا وربما باكيا والأم لا تدري بعد سبب هذه النفسية بينما هي بسبب مغص يعانيه أو آلام تأتيه من هذه الديدان ، لهذا فأساليب تعقيم المياه أو النظر فيما يطعمه الطفل ويشربه مهم جدا لكل أم تريد أن تحفظ صغيرها من هذه المعاناة، والماء هو الحياة فكلما كان نظيفا عذبا كلما كان الجسد صحيا نشطا، ولا أفضل من توفير مياه الشرب النظيفة في أواني مناسبة يحتفظ بها في أماكن بعيدة عن التلوثات

والحشرات وأشعة الشمس المباشرة، وفي المناطق التي يكثر فيها الوباء عن طريق المياه فلا أفضل من تعقيمها بالغلي ثم التبريد أو بالكلور بنسبة يحددها الصيدلي بضعة ملغرامات في خزان الماء.. وهكذا تصبح المياه نظيفة صالحة للشرب ونوفر على الأسرة الاسهالات المتكررة والنفسيات المرضية.

سلوك آخر وجب التنبه إليه ألا وهو النشاط الملفت للذكور وبعض الفتيات والذي يعكس طاقة كامنة كبيرة وجب تفريغها في شغل مفيد، كتعليم الطفل رياضة معينة يعتادها منذ صغره ولا أروع من الرماية والسباحة وركوب الخيل، وفي الأثر عن عمر -رضي الله عنه- : (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) وإنه لمن المشاريع الحالمة التي تتوق لها كل عائلة مجاهدة أن تتوفر نوادي لتعليم الأطفال هذا النوع من الرياضات فضلا عن فنون الدفاع عن النفس والقتال كالكاراتيه والتايكواندو وغيرها من رياضات نافعة، وهو مشروع يحتاج لهمة وبعض الدعم لتعميمه في كل بلاد المسلمين فيتربى جيل كامل على الإعداد ويثمر معه مجهود كامل..! ولطالما تفكرت في هذا المشروع ووددت تفعيله في ثغور الرباط ولكن لم يكتب له الله أن يرى النور بسبب ظروف الهجرة والجهاد.. فأضع فكرته هنا لعلها تثمر على أيدي الباذلين المسابقين الذين مكّن الله لهم فعل الخيرات، فإقامة نادي في كل ثغر بل كل بلاد فيها مسلمين، يكون متخصصا بركوب الخيل والفروسية وتعليم السباحة والرماية، هو بحد ذاته مشروع كاف لإعداد أجيال كثيرة من أبناء المسلمين.. وفضل الخيل لا يخفى على عارف بسنة الحبيب - صلى الله عليه وسلم-، وقد جاء في الصحيح (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) .. فيا باغي الخير أقبل على سد هذا الثغر

وتوفير هذا النوع من النوادي لأطفال المسلمين بأسعار رمزية تستوعب فيها الجيل الجديد ليعتادوا الفروسية ويتخرجوا منها فرسانا!

على صعيد آخر، فإن الطفل الذي يعاني من الوحدة أو قلة الصحبة أو لا يجد أطفالا من سنه يلاعبهم ويتسلى معهم قد يمر بحالات انطواء أو حزن أو حتى تمرد .. وفي هذه الحالة لا أفضل من شغله بتربية حيوانات أليفة في البيت كالدجاج والماعز والأرانب والعصافير وغيرها من حيوانات يمكن اقتناؤها، أما إن أمكن توفير حصان فسيكون هذا رائعا، ذلك أن هذا الاهتمام بالحيوانات ورعايتها سيشغل وحدته ويثري وقته .. و أرى الاهتمام بالحيوانات ينمي الكثير من المهارات لدى المجاهد الصغير فضلا عن خلق شعور عميق بالسعادة، وكلما كان الحيوان ذكيا كلما كانت العلاقة مميّزة، ولهذا أشرت للحصان كونه يحمل خصالا مختلفة عن غيره من الحيوانات ويحمل وفاء نادرا ويكفي أنها تعكس شخصية الفارس وتبث فارسنا الصغير الإلهام والنبل والمروءة، لهذا فإن تعميم هذا الاهتمام لدى الأطفال سيكون أمرا مفيدا ونافعا.

ومن المشاكل التي تعاني منها بعض الأمهات في وسط الهجرة والجهاد الغيرة بين الأخوات خاصة والتي لا تصل لتلك الدرجات الملفتة بين الذكور، وهذا أمر طبيعي فإن الغيرة أمر فطري في الإناث قبل الذكور، وعلى الأم أن تكون ذكية في امتصاص هذه القوة الدافعة أحيانا للإيذاء أو للتمرد أو للانطواء، فالطفلة قد تشعر بغيرة شديدة تجاه أختها وربما أخيها كونه يحصل على ما تحصل عليه أو كونها تشعر أنه يشاركها حب الوالدين الذي تفضل أن تحتكره لنفسها فقط، وهذا

الأمر خارج عن إرادة الطفل وليس متعمدا لهذا على الأم أن تمتص هذا الشعور بحكمة وسياسة وتمهل .. فتستغل ساعات الصحبة مع هذا الطفل لتبيان حقيقة العلاقات الأسرية وواجب المحبة بين الإخوة وأن الأم تحبه كما تحب إخوانه وهكذا، ويوازي هذا الحوار خطوات عملية كطلب مساعدة من الولد أو البنت التي تشعر بالغيرة والثناء على عملها ودعوة بقية الإخوة للاقتداء بها، فضلا عن شغلها بأمور مفيدة دراسية وتربوية تنسيها أي شعور بالغيرة، ولا ننسى أهمية تعزيز علاقة الثقة في وقت خلوة لا يجمع إلا الأم وصغيرها الذي يعاني الغيرة فتبثه مشاعرها وتجدد معه العهد وتشعره بخصوصية العلاقة بينهما مهما انشغلت عنه بإخوانه .. والعجيب أن هذه النفس البشرية الصغيرة حين تنسى غيرتها تنقلب إلى شخصية رائعة من الألفة والتعاون والتقارب مع إخوانها، ما يؤكد أنه مجرد شعور عابر فلنتفادى تعميقه في نفس الصغير ولنحرص على معالجته بكل تأني وحكمة.. ولنا في إخوة يوسف عبرة ولنا في قابيل وهابيل المثل، ولا أزال أرى الحوار من أروع أساليب التربية في عصرنا الجهادي.

أما الخصامات والشجارات بين الصغار والتي غالبا ما تكون لحب التملك أو الأنانية أو حتى الجشع، فهذه يجب مداواتها بزرع سلوك الإحسان والتسامح والصدقة والجود والكرم، وأن يكافأ من يفعل ذلك خير مكافأة.. فمثلا الطفل الذي يرفض أن يعطي من طعامه شيئا لصديقه حين يسأله ذلك، فيبيّن له سوء موقفه، أما الذي يتصدق ويعطي بلا منّ ولا أذى فهذا يكافأ بمال أو بشيء يشعره بنبل أدائه وبضرورة المواصلة على التآخي والتسامح والكرم.. وكثيرا ما يعطي الطفل ثم يندم، وهذا أمر طبيعي، فلا يجبر على شيء حتى يقدمه من نفسه ولن

يرجع عنه إذا أحسنا الثناء على الطفل عند إيثاره وشغلناه عن التفكير في هذا الأمر.

كثير من الخصال الحميدة لدينا القدرة على تنميتها في الطفل، وأخرى سيئة يمكننا تحصين الطفل منها، وهذا بالطبع يعتمد على قدرتنا في إفهامه الصح والخطأ وجعله يعيش الموقف، فالثناء لازم ومحمود في المواقف الرائعة والإنتقاد بلطف وبحب مهم جدا في المواقف السيئة، وإن استلزم الموقف بعض الشدة فلابد أيضا من تبيان وتجلية للأفهام ذلك أن هذا الطفل في طور التعلم وفاقد الشيء لا يعطيه فلما نحمله ما لا يقدر عليه! لنعلمه أولا ثم لنحاسبه ثانيا وليس العكس، فقد تجد أما تعاقب ابنها لسلوك بخل وهي لم تعلمه سلوك كرم! فكيف سيقدم عليه إن لم يتعلمه؟ ثم إن الطفل لديه بعد عمر التمييز (سبع سنوات) الكثير من الأسئلة التي تحتاج لردود شافية، ولا أفضل من الحوار الهادئ وامتصاص كل شاردة من ذهن هذا المجاهد الصغير أو المجاهدة الصغيرة فيفهم ما يجري حوله ويبتعد عنه شعور الظلم أو القهر أو الإهمال، ويطمئن ويزداد ثقة بنفسه وبأهله.

إن أجمل شيء في التفاعلات والتعاملات اليومية مع الجيل المجاهد المقبل على تحمل الأمانة أن ننزل لتلك الأعمار ونحدثها بحجم قدرتها على الفهم، فنبسط المفاهيم لأوضح قدر ممكن ونزيل اللبس وسوء الفهم بكل الطرق الممكنة وحين يتعذر في بعض المواقف فلا أفضل من تأجيل الشرح وشغل ذهن الطفل بشيء يستفيد منه.

على صعيد موازي فإن سلوك الرفض والتمرد كائن لا محالة مع أعمار مختلفة خلال نمو الطفل، ولا شك أن أحد أسبابه هو الرغبة في فرض الوجود أو بداية اكتشاف الوجود خاصة عند الذكور، وعلى الأم أن تكون حكيمة في التعامل مع هذا التغير اللحظي، فهو لا ينفك أن ينتهي ويعود الطفل لسابق عهده ومحبته لوالدته، لهذا فلتتعامل باللين لا الشدة ثم إن استعصى الأمر فلتهمل الأمر وتتجاهله، ثم حين حاجته سيرجع إليها نادما.. فتستغل هذا الندم في بثه المواعظ والتوجيهات التي عليه الانتباه لها خلال سلوكه.. وقد تتعسر بعض الحالات فتقوم الأم بالاستعانة بطرف ثالث إما لتحذيره من عواقب تصرفه أو بصديقة تنبه الطفل أن ما يفعله مشين جدا وأن أصدقاؤه لو عرفوا هذا عنه سينفضون من حوله وتذكره بواجب الاحترام للأم والسمع والطاعة.

قال أبو علي الجوزجاني – رحمه الله– : "النفس معجونة بالكبر والحرص على الحسد، فمن أراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة، وإذا أراد الله تعالى به خيراً لطف به في ذلك. فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع من نصرة الله تعالى".

الوضع مع الفتيان والفتيات سواء في حالات التمرد .. وقد يزداد تعقيدا مع جمع فيه أكثر من ذكر أقران، ولهذا لا يجب على الأم أن تمارس سلطة القوة عليهم لإخضاعهم فقد تتفاجأ بردات فعل قوية أخرى، أو قد تباعد مسافة التواصل وتسبب الجفاء خاصة في سن البلوغ ولكن لابد من نصح وصبر ولين .. ومما أذكره من نصائح ذهبية في هذا الباب، أن الأم لابد أن تكون صديقة لابنتها في

سن البلوغ حتى تضمن أن ابنتها لن تخفي عنها سرا أو همّا والصداقة لا تكون بالسلطوية، ولكن تكون بالاحترام... ولكل مقام مقال.. وكذلك الولد صداقته مع والده أمر مطلوب ولكن إن تعذر لانشغال الوالد أو فقدانه.. فلا أقل من أن تتولى الأم هذه المهمة وتتقرب من ابنها لتعلم كيف يفكر ومما يشكو فتتداركه قبل أن يغرق في بحر الأفكار العبثية. وقد كان رسول الله – ﷺ– يحترم الأطفال، وفيما يذكر عنه فدته نفسي، أن أحد الغلمان كان يجلس يوما عن يمين رسول الله — ﷺ – وعن يساره كان يجلس كبار القوم، فلما أتى للنبيّ بشراب شرب منه ثم قال للغلام: "أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا يا رسول الله، لا أوثر بنصيبي منك أحدا، فأعطاه له النبي – ﷺ. فسبحان الله، ذاك التعامل الراقي كان بين نبيّ الله وغلام صغير!.

أما أساليب العقاب التي قد تكون نافعة لردع بعض المفاسد من تصرفات طائشة للطفل وتساعد في تقويم سلوكه المعوجّ، فتكون بداية بالموعظة والإفهام، ثم بالتهديد والجديّة في التأنيب، ثم إن تعدى فالحبس في غرفة لمدة بضعة دقائق بحسب حجم الخطأ وأيضا بحسب سرعة توبته واعترافه بالخطأ ومطالبته بالعفو، وتعليم الطفل طلب العفو والاعتذار من أروع مقومات التربية الاسلامية المستقيمة وهو يقوده إلى التوبة لله بعد أن يبلغ أشده ويشتد عوده، كما يكسر أي كبر يمنعه من الإنابة والرجوع عن الخطأ. فإن أصر على الاستمرار في ذلك فيقوّم بضرب معقول مؤلم ولكن لا يسبب إذاية واضحة أو يمرض بسببه، إنما ضرب لمجرد خلق الإحساس بالذنب وإدراكه جدية التعزير. كما يمكن اللجوء لأسلوب الحرمان من بعض الأمور التي يتعلق بها الطفل، مثل الحاسوب، أو اللعب، وهذه ثبت لها

مفعول رائع في تجاوب الطفل. وفي العموم فأسلوب العقاب يتغير بحسب شخصية الطفل وما تعوده ونوع الخطأ وظرفه، وقد ينفع أسلوب أكثر من آخر بحسب شخصية الطفل.. وليس بالضرورة احترام التدرج في العقاب عند بعض الأطفال .. ومن جهة أخرى ليس كل خطأ يعاقب عليه الطفل، ولابد من حكمة في تصنيف الأخطاء، ولا أرى التصرفات التي تصدر بلا قصد بحاجة لأي عقاب بل فقط تلك المؤذية أو المفسدة أو التي يخرج بها عن خط الاستقامة، وبعض التغاضي ينفع في بعض المواقف ثم الموعظة فيما بعد تشعر الطفل أن الأم لم تغفل عنه ولكنها سامحته لثقتها فيه أنه لن يعيدها مرة أخرى ... ولتحرص على تأكيد قاعدة أن الله يراه ويعلم كل ما يفعله وإن استخفى من أمه ومن كل الناس، وأن الأجدر به هو خشية الله قبل كل شيء، والأمثلة في هذا الباب كثيرة. قال لقمان لابنه: " إذا راقبت الله تعالى لم تقدم على معصيته أبدا ؛ لأنه بمجرد التفاتك إلى أنه يراك ويطلع عليك يمنعك الحياء من مخالفته ". بهذا الشكل يتنبه الطفل ويستيقظ ضميره ويكون أكثر وعيا بما يعنيه.

وحين نتحدث عن العقاب فله بكل تأكيد زمنا محدودا ويزول لمجرد إدراك الطفل حجم خطأه، وكل هذا يجب أن يوازيه الحوار الراقي بدون غضب ولا تسرع ولا أذية ولا سب أو شتم أو إهانة أو تحقير، ذلك أن الطفل سيشعر بأن الأمر لا يتعدى تصرفا لأجل مصلحته ولا يولد شعور بغض لمربيته أو معلّمه بل شعور ندم ورجوع.

تمر أحيانا على الأسر فترات عجاف وقد يحرم الطفل الكثير من الأمور المهمة لسعادته كالطعام الجيد أو اللعب أو حتى الدراسة، في هذه الحالة لا شك أن تلقين الطفل قصص الصبر والمصابرة وعظم الأجر والثواب، خير علاج لتساؤلاته.

ويحصل أن يميل بعض الصغار للبكاء بدون سبب محدد، فهنا على الأم أن تحتضن الصغير وأن تهدأ من روعه وأن تخفف عنه الانزعاج بالاهتمام، وتحاوره لتنسيه شعور انزعاجه، ثم ترقيه بالمعوذتان والفاتحة وآية الكرسي وبـ (أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) ، فلن ترى إلا خيرا ولن يعدو بإذن الله إلا انزعاجا عابرا.. وهذه نفسيات وجب فهمها لا الرد عليها بعنف أو إهمال.

وقد يظهر بعض الأطفال تصرفات توصف بالإفساد والتدمير في البيت وهي في الواقع انعكاس رغبتهم الشديدة في الاكتشاف والتعلم، ولهذا أفضل ما يعود عليه هؤلاء الأطفال هو شغلهم بالكتابة والدراسة والتعلم الحثيث لمختلف العلوم والمعارف وكذا الرياضات الجسدية، مع الحرص على إبقاءهم في وسط آمن وإبعاد كل ما يمكنه أن يقع بين أيديهم ويصبح خسارة أو خطرا، وهذه الشخصيات تكون ذكية جدا فلا يستهان بها، ويعتنى بها أكثر.. والضرب الكثير لا يجدي معها نفعا أبدا فلابد من صبر وحكمة في التعامل معها، بل إن المبالغة في التأديب بالضرب قد يفاقم الأمر ويتحول الطفل إلى متمرد شرس فلا يؤثر فيه تهديد ولا ضرب، وهناك قاعدة تقول، أدّب ابنك بعقاب معقول ولا تطغى فيطغى هو أيضا ثم لا يؤثر فيه بعد ذلك أي عقاب. ومما يحضرني من قصص عالم ما قبل الهجرة

قصة تلك الأم التي كان ابنها يتلفظ بألفاظ سيئة بذيئة فاتخذت طريقة إطعامه الفلفل الحار لردعه كلما قال كلمة مذمومة، فاعتاد الولد على ذلك وأصبح كلما تلفظ بتلك الكلمات يهرع للمطبخ ويحضر الفلفل الحار ويأكله أمام أمه ويقول: ها أنظري ها أنا آكله! فكان أن وقفت الأم حائرة أمام هذا الموقف العجيب، فقد ألف الولد العقاب وأصبح يعاقب أمه بتحديه! ولهذا فلابد من جذب هذا الطفل وجذب الخير الذي فيه وكسب محبته وثقته، وبحث أسباب سلوكه السيء فنداويها بحكمة وبصيرة وصبر، حتى نبني شخصية رائعة متجاوبة قادرة على الاستقامة والتصحيح والرجوع عن الخطأ.

كذلك سياسة كل شيء ممنوع تؤثر في نفسية الطفل بشكل عميق، فهو يشعر بالقهر والحرمان والازدراء، فتصدر منه ردود غير مقبولة أو تصرفات مستفزة، ولهذا فلابد من حد معقول من الحرية والتخفيف من قيود المنع لكل شيء فيما يمكن السماح به، كاستعمال جهاز أو تغيير ترتيب معين أو شراء شيء محبب، وما شابهه من سلوكات لا تضر وتسمح للطفل بتحقيق إرادته في مساحته بل إن التنطع في المنع يأتي بما لا يحمد عقباه.

ومن الحالات التي تقف الأم عاجزة أمامها أحيانا هي حالات البكاء والصياح والارتماء على الأرض عند الأطفال في سن الثانية وما حولها، وهو رد فعل مشهور بين الأطفال في هذه السن حين يعزمون الحصول على شيء ما.. ولم أر أفضل من الإهمال وعدم إبداء الاهتمام، فيتعود الطفل تلقائيا أن تصرفه لا يجدي نفعا وحين

يهدأ أو ينشغل بأمر آخر تستطيع الأم أن تستوعبه من جديد.. كما يجب التمييز بين بكاء الألم والحاجة والجوع وبكاء هدفه الإخضاع وتحقيق الأهداف.

ومن المسائل المهمة جدا التي تسبب تعقيدات لا يستهان بها في نفسية الطفل إهمال الوالدان خصوصية علاقتهما أمام الأطفال، فكل خلاف ظاهر بينهما سيؤثر مباشرة في نفسية هذا العود الفتي، وأفضل ما نتركه في ذاكرة الطفل إذا كبر تلك العلاقة الرحيمة التي يلفها الإحترام لا أقول الحب على أقل تقدير، فينشأ في سعادة وثقة في والديه، ويزداد برا بهما، فليحرص كل من الأب والأم على رعاية علاقتهما وحفظها وتفادي وصول أي خصام إلى أسماع أطفالهما فيحرك فيهما ذلك نوازع البغض لأحدهما أو الاحتقار والعقوق. وإن حصل ووصل الخصام لمسامعهم فلا أقل من شغل الأطفال عنه وقطع الطريق أمام أي حزن يتسلل لقلوبهم أو إحباط يخيّم على مشاعرهم.

وحقيقة، كل ما نقدمه لأبنائنا من خير واهتمام سيرجع علينا وعلى الأمة إلا أن يشاء الله غير ذلك، وكل ما نزرعه من شر وإهمال فهو كذلك راجع إلينا، وكما تدين تدان، لهذا فلنزرع في هذه الشخصيات الفتيّة الخير لنجده غدا إن شاء الله فلاحا ونجاحا .. ولنحفظ بذلنا بالدعاء.

وكما نرى تتحمل الأم حملا ثقيلا في ساحات الهجرة والجهاد، ولهذا لابد أن تلتفت القيادة الجهادية لتعليم الأمهات الأميّات وتولية المتعلمات مهمة الدعوة ورفع الوعي لدى هذه الفئة الحساسة في المجتمع الجهادي.. وبشكل أعم الاهتمام

بساحة الدعوة النسوية لأنها ضرورة في كل المراحل.. كما أنصح وبشدة بتأسيس مجلة دعوية تربوية توعوية لإرشاد الأم لأفضل وسائل التربية وتقويم سلوك الطفل تتناول أبرز المشكلات في التربية وكيفية تجاوزها، تلم باهتمامات المرأة على اختلافها، تقوم عليها نساء مجاهدات تخاطب فيهن المجاهدة بظروفها وتحديات معيشتها، فوضع الهجرة والجهاد بحاجة لتغطية خاصة وتلبية للحاجات ماسة.

❖ خصوصية في حياة الهجرة والجهاد:

نعم إنها حياة خاصة مختلفة عن الحياة الدنيا التي يعيشها أغلب الناس، ذلك أنها حياة مرتبطة بهمّ عظيم وهدف كبير وشغل شاغل، حياة يومها كدّ وجدّ في سبيل الله وليلها سهر ونوم في سبيل الله.

لا يعرف لذتها إلا من آمن وصدّق، أما من غفل واستكبر فهذا لا يذق من لذة الجهاد شيئا وتجده يعيش بين الصفوف ضائق به صدره كأنه يصعّد في السماء، ففضل الله يؤتيه من يشاء من عباده المؤمنين الصالحين التوابين.. ولهذا فلن يتحدث عن روعة الجهاد إلا من أحبه ولا يحبه إلا من آمن .. ولا يتربع على عرش اللذّة إلا من أخلص!

ولعل من أبرز خصوصيات هذه الحياة هي البساطة في طريقة العيش والرضى بالقليل والتعلق برب السماء والتخلص من سلطة الأنظمة الطاغوتية وعدوانها،

والعيش بكرامة وحرية لا يعرف قيمتها إلا من فقدها، فالأمن الذي يوفره المجاهدون في مناطق سيطراتهم لا يمكن الحديث عنه كمجرد أمن إنه واقع إمارة إسلامية قائمة بحد ذاتها، تدار فيها عجلة الحياة وفق قوانين الشريعة الإسلامية .. تنشط فيها الأسواق بأمان لا تمتد لها يد سارق، يسافر الناس في المساحات الممتدة بسلام لا يقطع طريقهم مفسد أو قاطع طريق، الكثير من الأمن يعيشه المسلم تحت رايات التوحيد والأهم منه هو خلو هذه الحياة من أي شركيات أو معاصي قد دأب عليها الناس في حياتهم الدنيوية في عالم العولمة والديمقراطية الظالمة ... يتخلصون من أغلال مزامير الشياطين وصور المجون والسفور وتكسو الحشمة والحياء شوارع المسلمين، فتضعف الفتنة وتقوض فرص الشيطان، وما أروع ذلك المجتمع الاسلامي المصغر الذي رفع راية الجهاد رفرافة عالية يتحدى أعتى الدول والجيوش، ولا يقدرون على مواجهته، فكلما رفع المهاجر أو الأنصاري نظره في السماء ووجد تلك الطائرات الجبانة وبدون طيار تترصده.. علم قدر إغاظته لأولئك القوم الكفارين وكفى به أجرا عظيما، ذكره الله في التوبة بكل وضوح وإثبات. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121)﴾.

وقد سألتني مرة إحدى النساء العاميّات عن موقع أمريكا من بلاد المسلمين وكم تعجبت لبعد المسافة بين المعسكرين.. وكيف لا تعجب وقد أعماهم الحقد

الصليبي وقادهم بجنون لغصبنا أراضينا وحرياتنا وحرب إسلامنا، يأتون من مكان بعيد ليراقبوا تحركاتنا من خلف الجدران وفي طائرات مسيرة بدون طيار، وهذا بالنسبة لنا انتصار عظيم على قلة عدتنا وعتادنا، فهم مع غرورهم وغطرستهم من مكانهم البعيد وبترسانتهم الكبيرة يطاردون ثلة مسلمة مجاهدة صغيرة، تؤرق نومهم حتى لا تنفك طائراتهم عاكفة في جو السماء تحسب أنها تحسن صنعا فلا تزيد الطين إلا بلة، تصرف البلايين من الأموال وتستنزف الخزائن والدولارات ولا تكاد تحصل من هذا الاستنزاف إلا استهداف مجاهد جلّ همه الحصول على الشهادة في سبيل الله وكأن الجهاد مقرون ببشر، ليتهم يعلمون أنه مدد لا ينقطع إلى يوم القيامة واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون!

عقود طويلة من الزمن ولم تتمكن أقوى قوة في العالم من صد المدّ الجهادي مع تحالف من عشرات الدول الكافرة القوية المتطورة، ثم يأتي من يجادل في عظمة هذا الجهاد ودرجة نجاح هذا الجهاد، قد أبصره أهل البادية والفلاحون والفقراء والبسطاء في أرض الله فكبروا وهللوا لنصر مولاهم في وقت يقبع فيه المتفيقهون خلف أسرة الدّعة وأرائك الراحة لنقد الحركة الجهادية بلا أدنى رحمة.. نعم ليست الحركة الجهادية معصومة وأخطائها مفهومة فمن يقوم عليها بشر ولكنها في الأخير تقدم ما لم يقدمه أحد من دول أو أنظمة طاغوتية، هي تقدم درعا للإسلام والمسلمين وتعيد سنّة النبي الكريم في مواجهة قوى الظلم والطغيان، وكفى بإقامة فريضة الجهاد سببا لاحترام هذه الحركة التي ولدت من رحم الأمة المكلومة المستضعفة .. ولو رسمنا جدول مقارنة بين أخطاء الحركة الجهادية

وبقية القوى الكافرة والطاغوتية في هذا الصراع لوجدناها الأقل خطأ والأكثر حرصا على خير الناس وصلاحهم، فلا يجادلن في هذا عاقل، وهذا لا يعني أن أخطاء الحركة الجهادية مغفورة بل يعني أن الإصلاح له أصوله وله خطواته ولا يكون نقدا هداما أو إقصاء مجحفا يخلّ بميزان المصالح والمفاسد.

فهذه الخصوصية في أرض الجهاد .. من طرق العيش المتربص ومن الحل والترحال ومن رفع درجة اليقظة والمتابعة الحثيثة لتحركات العدو وسكناته .. من صفات الزهد والرضا بالقليل والورع، ومن أجواء الإعداد والتخطيط والجمع، يعيش خلالها الطفل المجاهد كل التفاصيل واللحظات، فلا يتعلق بشيء من ملك الدينا، ذلك أنه مفارقه لا محالة ولا يتشبث بمغريات الحياة لأنه قد أبصر الهدف من رباط أسرته، تجده يفكر بفكر الرجال، أحلامه أحلام جبال، صبره صبر كبار، وهو مجرد طفل. هذا ما تحدثه بركة الرباط والغربة في أراضي الهجرة والجهاد.

يكبر صغيرنا ليصبح رجلا أوّل أمانيه أن يمتلك سلاحا، وأولى مشاغله أخبار المعارك وخطط الهجمات، قد حفظ أسماء القادة الأبطال والشهداء الأبرار، وكذا مواقع الظفر والانتصار، نسأل الله أن يجعلهم سببا في نصرة الإسلام وأهله ويتقبل الباذلين في هذه السبيل.

إن ما يميّز حياة الهجرة والجهاد عن غيرها من حياة كبير جدا، إنها حياة انقطاع عن كل مغريات الدنيا وعكوف على عبادة الله وإقامة فريضة عظيمة، ذلك أن

الأمة في حالة متقهقرة، حالة بؤس وفقر وتراجع وهوان، فكيف يطيب عيش مسلم أو مسلمة وهو غافل عن الإعداد والتعبئة، في وقت فقدنا فيه الأقصى وبغداد ودمشق وصنعاء وكثير من الأمصار المسلمة التي تدار اليوم بيد الأوغاد.. وفقدنا مع ذلك كرامتنا وهويتنا الإسلامية بل كل حرية، فقدنا كل شيء حتى القدرة على الاستنكار والغضب ونحن نشاهد القتل المتعمد لإخواننا وأخواتنا وأبناءنا في كل زاوية في الأرض وقد استضعفهم أهل الكفر والإلحاد بكل عدوان وظلم و بكل وحشية ولا إنسانية!

إن المتعة التي يحوزها المرابطون في سبيل الله لا يمكن أن تقارن بأي متعة من متع الحياة ذلك أنها فضل عظيم من الله وأن الحياة لهدف سام لا تنافسها حياة.. والسمو لا يكون إلا بإعلاء كلمة الله وتعزيز مكانة المسلمين في العالم واسترجاع مجد دأبنا عليه فلما غفلنا سلب منا.. وسلط الله علينا شرار الناس يسوموننا سوء العذاب.. فإلى أن تصبح الأمة مدركة لعظيم ما تحمله من أمانة، وحين ترجع لدينها فتأخذ الكتاب بقوة لا هوادة، هناك سيكون الوقت سانحا للحديث عن ظفر عظيم ونصر كبير وحضارة إسلامية تبلغ الآفاق، أما ما دامت اهتمامات الشعوب المسلمة سخيفة لا تعدو الترف والدّعة، وإعداد أبناءها هزيل لا يعدو الركض خلف الدنيا الدنية، ودرجة الوعي عندها متذبذبة لا تستقر ولا تترسخ، وصفوفها مشتتة وقلوب أبنائها متنافرة متفرقة.. فلا زالت مرحلة التغيير الجذري بعيدة. وللأسف حين ننظر لليهود وما يحرصون عليه من تعبئة في الصفوف وما يرددونه من واجب تحمل مسؤولية حفظ ورقي دولة

إسرائيل وشعب اليهود "الشقي". نشعر بالأسف أنهم أكثر جدية في صيانة ضلالهم منا في حفظ الحق الأبلج.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد الوهاب، رحمهم الله: (فهل يتم الدين أو يُقام عَلَم الجهاد أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقانًا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

ويكفي التأمل في حديث رسول الله - ﷺ- في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : "إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة . ثم قال : عدو يجمعون لأهل الشام ويجمع لهم أهل الإسلام (يعني الروم) فيتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حت يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنابتهم فلا يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقسم ؟ فبينا هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو

أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ : أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة " . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ " .

فلنتأمل لفظ (يجمعون لأهل الشام ويجمع لهم أهل الإسلام) فهل يعقل أن يكون الجمع باتباع الغرب الكافر والركون لأنظمته الظالمة والرضوخ لطريقته السقيمة في العيش، أم يكون بالرجوع لسنة الحبيب - ﷺ- والتمسك بالكتاب والسنة، ولا يكون ذلك إلا بالهجرة والإعداد والرباط والقتال، أربع لا ينصر الإسلام بدونها، نعم هذا ما نجده في أرض الهجرة والجهاد وهذا تحديدا ما يميّز أهلها المرابطين عن غيرهم إنه الجمع!

إن مراحل بناء شخصية الطفل المجاهد العارف بأصول دينه وأحاديث نبيّه لا تهمل حديثا في صحيح مسلم، بل إن كثيرا من الأطفال قد أتموا حفظ مئات الأحاديث ومنهم من وعى الصحيحين وأكثر، فلا يجد عناء في الاعداد والنظر للمستقبل بعين البصيرة على خلاف ذلك الطفل الذي تغذى على إعلام غربي أو عربي تابع، فلا تجده يفقه من حديث نبيّه - ﷺ- إلا ما يخدم الأنظمة الطاغوتية ولا يدري عما ينتظره إلا الأمل في مسكن وسيارة ورصيد في البنك يلهو به ويتمتع! فشتان بين البيئتين وشتان بين التنشأتين وشتان بين الطفلين، هذا حمل أمانة عظيمة وذاك غفل عن أمر عظيم! جاء في الحديث، (وإن قوما خرجوا من الدنيا

بدون عمل يقولون نحن نحسن الظن بالله تعالى وقد كذبوا فلو صدقوا القول لصدقوا العمل).

ثم إن فضل العيش في رباط لا يخفى على مسلم، ولا زال الرباط أعظم المواطن التي يحصد فيها المسلم الأجر المضاعف ويغبطه في ذلك العابدون في الحرمين، وفي الحديث الصحيح "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها".

والجهاد ماض إلى يوم القيامة، ولن يتوقف سيل الأجيال المجاهدة حتى تتحقق آخر نبوءات النبي - ﷺ- وتقوم الملاحم وتتوالى أشراط الساعة الكبرى، وفي الحديث الصحيح "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو من خالفهم حتى يأتي وعد الله".

ويا لها من حياة يكون فيها الموت كيف ما كان حاله.. شهادة في سبيل الله، شهادة يطلبها الأنبياء ويدعوا لنيلها الصحابة ويتوق لمرتبتها الأذكياء! قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج 58].

فهذا باختصار ما تتميز به حياة الهجرة والجهاد عن غيرها من حياة وهذه الخصوصية التي منّها الله بها، هي أحد أهم الأسباب التي تجعلنا نستبشر في جيل تربى وترعرع في ظلها، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

❖ الحاجة أم الاختراع:

لا يعرف حقيقتها مثل الذي انقطعت به السبل فتفكر في اضطرار فهداه الله لحلّ من أعجب الحلول، وفي الواقع الحاجة في بعض الأحيان نعمة، لأنها تدفعنا للخروج من حالة التذمر أو الإحباط إلى حالة البحث والابتكار وقد تصادف الكثير من المجاهدين الذين ينقطعون في ظروف أمنية معينة، وهذا يشمل كل مجالات الحياة بما فيها أثاث البيت والمتاع والطعام ووسائل الدفاع وغيرها، فالساحة مفتوحة لكل بنات الأفكار التي تجود بها قريحة المضطر، ومما يحضرني في هذا ...قصة ثلة من الأسر المهاجرة التي انتقلت تحت ظرف اضطراري أمني لمنطقة جديدة وفي بيوت لا تحوي أبسط الضروريات للطبخ أو للاعتناء بالأطفال، وكان أول ما لجأت له الأمهات هو البحث عن أغصان لإشعال النار والطبخ، وتوزعت الأخوات مجموعات مع أطفالهن لكل مجموعة هدف محدد كي يخفّ الحمل ويتمكن كل فريق من سد حاجات من فيه .. وبالفعل نجحت الأخوات في تعدي تلك المرحلة بنجاح بل وحفر ذكريات لا تنسى بينهن، حتى جاء الفرج من الرحمن وخرجن إلى موقع أيسر.

وفي حالة أخرى، عانت إحدى الأمهات من كثرة تمزيق صغارها لمصحف القرآن الكريم واضطرارها توفير نسخة للحفظ في كل حين، فقامت بتغليف كل صفحة بشريط لاصق شفاف حتى أصبح عسيرا على أطفالها الصغار الذين أقبلوا على حفظ الكتاب، أن يمزقوا الصفحات ولم تشتكي بعدها من تمزيق المصحف أو خسارته.

وتصطدم الأم أحيانا بقلة أصناف الطعام فتتحايل بابتكاراتها العجيبة لإخراج ألوان باهية جميلة من صنوف لا تختلف موادها الأساسية عن بعضها البعض ولكن عبقرية تلك المرأة كانت كفيلة لتبدع في مجالات الطبخ.

كذلك الحال مع متاع البيت وتصليح المكسور وإنقاض المعطوب وتبريد المياه وحفظ الأغذية من الفساد في ظل غياب الثلاجات أو وسائل الحفظ الحديثة، كثير من الأفكار العملية تطرق فكر المجاهدة والمجاهد في وقت الحاجة والاختراع.

وقد رأيت أما تحفظ لأبنائها صندوقا فيه الألعاب، فتخرج لهم بعضها وتخبأ بعضها ثم بعد أن يملّوا من المجموعة الأولى تعود لحفظها من جديد في الصندوق وتخرج المجموعة الثانية، وبعد مدة معينة، تخرج من جديد مجموعة الألعاب الأولى فتصبح وكأنها وصلت للتو جديدة وتخبأ الثانية، فيستمتع بذلك الأطفال كثيرا، وهذا يدل على فقه هذه الأم.

وقد ترى سيارات يقودها المجاهدون تسير في الطرقات وهي مجرد تركيب لقطع مختلفة من سيارات أخرى ولكنها صالحة للاستعمال وقد ترى بيوتا بنيت من الأشجار لتصبح مريحة صالحة للسكن وقد ترى ألعابا صنعها الصغار بأيديهم قد تفننوا في تزيينها وتطويرها بشكل رائع منها الشاحنات والسيارات البلاستيكية وكذا الطائرات الورقية دون أن ننسى البنادق والمسدسات الخشبية .. يعد اللعب بها ليس فقط متعة بل ثقة بالنفس أخرى!

وفي بعض الثغور يكتشف المرء ذلك المزيج العبقري الذي يخرج به المرابطون من خلال توظيف أفكار وعادات السكان الأصليين وتطويرها بثقافة المهاجر التي أقبل بها.. فنخرج بأفكار جديدة تسهل المعيشة وتبلغنا أهدافنا بسعادة.. ومن الصعب سرد جميع الأفكار في هذا الصدد ولكن الهجرة جامعة للخبرات يتخرج المجاهدون منها بمعرفة واسعة تنتقل معهم لكل أرض ويتم توظيفها وتطويرها بحسب الحاجة والظرف. وقد سبق أن نقلت الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس – رضي الله عنها– الكثير مما تعلمته أثناء هجرتها لأرض الحبشة إلى المدينة، واستفاد من معرفتها الصحابة – رضي الله عنهم–، وهذا من بركات الهجرة والسياحة في الأرض.

❖ أخطاء وجب التحذير منها:

إن مسؤولية إنشاء جيل متعلم مجاهد منضبط السلوك والأخلاق، مسؤولية عظيمة في وقت باتت فيه قوى الكفر العالمية تتكالب على أمتنا الإسلامية المستضعفة وتوظف في عدوانها أبشع الأساليب وأدهى المكر لتشويه تلك الصورة الناصعة لأهل الجهاد والإسلام، ولكن هذا المصاب الجلل لا يعني أن نحرق مراحل إعداد هذا الجيل واستباق موسم بلوغ النصاب، واضطراره للانتكاسة أو الفرار من واقع ينتظره، ومن الأخطاء التي قد تقع فيها بعض الأسر، فتح الباب على مصراعيه للأطفال في مشاهدة الإصدارات الجهادية بلا رقابة لمضمونها .. فقد يكون بعضها قد بالغ في طرق عرض القتلى وأساليب القتل بطريقة لم تألفها النفس البشرية،

وكوننا نعد جيلا مجاهدا لا يعني أن نشبعه من صور الدماء ابتداء زعما أننا نضمن تعطشه لهذه الدماء، فهذه نظرية خاطئة تماما، وقد حصلت مواقف في بعض الثغور تؤكد أن الحماسة الشديدة في حرق مراحل إنشاء هذا المجاهد منذ صغره وتجاهل بعض الأسر لدرجة استيعاب أطفالهم ولامسؤوليتهم في عرض إصدارات منتقدة فقهيا فضلا عن أخلاقيا.. قد تكون عواقبها وخيمة جدا، وفيما يحضرني في هذا قيام بعض المستعجلين بعرض أفلام الذبح والقتل والتعذيب ليشاهدها أطفال لم يبلغوا الحلم بعد، فكان أن بعد أيام من مشاهدة الأفلام أقدم أحد الأطفال على ذبح أخيه الأصغر بنفس الطريقة التي رآها مصورة بكميرات أتش دي متطورة! وكان يردد أثناء الذبح كلمة (يا مرتد) ، ولولا فضل الله لقتله ولكنه نجى بأعجوبة، ولنا أن نتصور كيف ستكون آثار هذه الجريمة لاحقا في جيل يتعطش للدماء لمجرد سفكها لا يعي من أحكامها شيئا! ولهذا لابد أن ننظر فيما نقدمه للأطفال من أفلام وإن كانت جهادية وأن نتحين الفرصة لتحريضهم بما يناسب أعمارهم وأفكارهم وردود فعلهم، ولا ننسى أنهم لا زالوا في محاضن الجهاد.

ومن الأخطاء التي تحصل في أثناء التربية الجهادية المسارعة في إرسال الشباب الذين لم يتموا تعليمهم الشرعي أو ينضجوا فكريا بقدر كاف لفهم ما يجري في ساحات التدريب والقتال، فتكون النتيجة جيلا من الجنود غير الكفؤين والذين يصعب تقويمهم عند الاعوجاج ذلك أنهم دأبوا على العمل دون إعداد.

ومن الأخطاء التهاون مع ذنوب عظيمة كالكذب أو السرقة بحجة صغر العمر، وهذه من مصائب التربية إذ لابد أن تنزع مهابة الوقوع في الذنب في قلب الطفل

منذ صغره وأن يدرك تمام الإدراك أن الكذب صفة مشينة في حق المجاهد، وكذا السرقة أو كل ما فيه تعدي لحدود الله.. ولا يهون الأمر ولو استصغره البعض فرب كذبة تراها صغيرة تكتبك عند الله كذابا! وجاء في الحديث الذي حسنه الألباني في الصحيحة: "أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

وروى أبو داود وحسنه الشيخ الألباني أن أم عبد الله بن عامر قالت لولدها: تعال أعطيك، تعني أعطيك حلوى، فقال لها رسول الله - ﷺ-: "وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟" قَالتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا .. فقال لها رسول الله -ﷺ- : "أَمَا إِنَّكِ لوْ لمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَليْكِ كِذْبَةٌ".

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق　　　واحذر من الكذب المذموم في الخلق

من لازم الصدق هابته الورى وعلا　　　فالزمه دأبا تفز بالعز والسبق

ومن الأخطاء الاهتمام الجدي بالذكور والإهمال اللامتعمد للفتيات، وهذه ظاهرة قد تكثر في مجتمعات على حساب أخرى، ولكنها تظهر أحيانا بشكل لا إرادي لسوابق في التربية والتي ستخلق اضطرابا في إنشاء مجتمع متوازن تشترك فيه المرأة والرجل في تحمل مسؤولية حفظ هذه الأمة ورفع راية هذا الدين. فمن أراد أن ينشأ

مجاهدا قويا عليه أن يسنده بأم أو أخت أو زوجة أو بنت قوية.. ولم يفرق رسول الله – ﷺ– في الاهتمام بالأطفال ذكرانا كانوا أم إناثا، ويروى أن رجلا كان بحضرة النبي – ﷺ– فدخل عليه –أي على الرجل– طفله أو غلامه، فقبّله وأقعده على فخذه، ثم دخلت طفلته فقبلها وأقعدها بجانبه، فالتفت إليه النبي –ﷺ– وقال له منبها: "ما سويّت، فهلّا عدلت بينهما"[1]. كيف تفرّق بينهما فتقعد الصبي على الفخذ وتهمل البنت فتقعدها جانبك، وتابع النبيّ –ﷺ– وصيته فقال: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم".

لا إفراط ولا تفريط في كل أمور التربية والتعليم، لهذا اللين في محله والشدة في محلها، ولا يمكن أن يحرم الطفل طفولته بسبب الجهاد .. بل علينا أن نهيأه ليستقبل الحياة مجاهدا يقظا يعلم ما له وما عليه مكتفيا من طفولته وشغوفا بشبابه.

كذلك إهمال الطفل حين الانقطاع عن الدراسة وعدم متابعة تحفيظ القرآن أو التكاسل في تعليمه – الذي يُعد مسؤولية كبيرة بين يدي مربيه – خسارة كبرى، فلابد من استدراك ما فات والحرص على المواصلة مهما اشتدت صعوبة الظروف، ولو لم يحز من تعليمه إلا تحفيظ كتاب الله وتفسيره لكفى به خيرا عظيما.. فاسقوا هذه الهمم بلا كلل، لتزهر وتثمر بلا ملل.

أما السماح للأطفال بالاستماع لأحاديث الكبار وكشف عورات المجاهدين والمسلمين أمامهم فتتشوه تلك الصورة التي تعتبر قدوة لجيل يستعد لاستلام مهام

[1] أخرجه البزار

الجهاد خطأ جسيم، وإن كانت الواقعية تقتضي ألا ينخدع الطفل بمثاليات قد لا توجد في كل حين، إلا أن التشويه المستمر لشخصيات المجاهدين سيكون له مفعول عكسي لا يحمد عقباه.

كذلك المسارعة في تلبية جميع طلبات الطفل له عواقب سيئة، لا نقصد أن نحرم الطفل بل أن نعوده الصبر على تحقيق أهدافه، وهذا ما نسميه التدرج في تعليم الصبر، ويكون على مراحل، فإن طلب غرضا نقول له: انتظر قليلا ثم هذا (القليل) نجعله أطول في يوم آخر وليس كل الأيام، ثم قد نقرن ذلك العطاء بفعل يقوم به كإنجاز عمل أو حفظ ورد من القرآن أو أداء مهمة، ليتعلم أن بعض الأهداف لا نحققها إلا بعد اجتهاد، ويتعود الطفل أن الصبر درس مهم ولابد منه، ولا شك أن "التصبير" فن أتقنه أهل الجهاد بلا منازع.

كذلك الإعجاب الزائد بالطفل والثناء المستمر لكل فعل يصدر منه، قد يخلق شعور كبر واستعلاء على أقرانه، وقد تعجب الأم بابنها لحد لا يمكنها إخفاؤه فتكثر من تدليله وتكثر من تعظيمه، فينحرف للغرور ويحطم نفسه وينقض غزلها.. فلا خير من الاعتدال في المدح والتخفيف من الإطراء الزائد، وتذكر أن ما يتميز به الطفل إنما هو فضل من الله وجب شكر الله عليه والسعي في أسباب ثباته كي لا ينتكس وينقلب المدح ذما.

على جانب آخر، فإن بعض الأمهات تكلف الطفل ما لا يتحمله ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ويكون ابنها غير قادر على تقديم أكثر مما قدّمه فتدفعه بتهور،

وتطلب منه التميّز الذي تحلم به، فلننظر في طاقة الطفل ولننظر في أفضل عطاء نجنيه منه ولا نطلب منه أن يكون خارقا بل أن يكون هو نفسه ويقدم أفضل ما عنده ولا شك أن أفضل ما عنده سيكون خيرا له ولأمه ولأمة الإسلام، فأحببن أبناءكن بما كتب الله لكل واحد منهم من فضل ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ..﴾ ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا..﴾ [النساء _32].

وإن كانت الأخطاء قد تختلف من ثغر لثغر أو من قوم لقوم، إلا أنها غالبا ما تكون بسبب الإفراط أو التفريط، وخير الأمور أوسطها.. التي يمكن التحكم فيها وقيادة تربية إسلامية مستقيمة ناجحة يشب فيها جيل أخذ حقه فآتى أكله.

❖ بناء شخصية مسلمة مجاهدة:

هذا فن وجب النظر فيه من كل الجوانب، والتأمل في طرق تحقيقه على أكمل وجه، وإني رأيت بعض النماذج الرائعة لأطفال تربوا على السنة وكبروا متمسكين بالإسلام دينا فكانت بركات هذه التربية جهادا عظيما.. إننا ننظر في عيون صغيرة تتلهف لمعرفة ما خلف هذا العالم المبهم، تكتشف أنها مختلفة عن كثير من البشر وتتعلم فطرة أن طريقها طريق العزة والنصر والفلاح، وحين تجتمع الاستقامة والجهاد هنا نتحدث عن النصر المؤزر، ولهذا فكثير من الأخطاء في الاستقامة

والجهاد تؤخر النصر لزاما وحتى نتفادى هذا القصور، علينا الحرص على تربية إسلامية حقيقية في سلوك الطفل، عند الطعام والنوم والحركة والنظافة واللباس والحديث وكل ما يقوم به يوميا من تفاعلات ويتعامل به من معاملات ويرتبط به من علاقات لابد أن نحرص على ربطها بسنة الحبيب - ﷺ - ونعود الطفل على الذكر وأنواعه وعلى التفقه في الدين والتزود من التاريخ الماجد وقدوات المسلمين، وحين تستوي هذه التربة وقد تشربت من ماء العقيدة والأخلاق والمروءة، يكون الجهاد تاج وقار عليها، فتتميز عن بقية الأجيال وتزدان بثبات قل له نظير، فلا نفسد هذا الجمال بالغفلة أو العجب، بل نعتني به بالحمد والشكر والتواضع والتقرب من المولى.

وما رأيت أفضل من تقديم الأمثلة القدوة لأطفالنا حتى يشحذوا هممهم ويلهموا تفكيرهم ويرسموا لأنفسهم خارطة طريق إلى الفلاح، ولقد رأيت من الأطفال من يتعلق بسير السابقين بشكل عجيب حتى يرغب في تقليدهم في حمل السيوف وركوب الخيول.. ويصطنعها وإن لم توجد! ومنهم من يردد اسم خالد بن الوليد ويتسمى باسمه.. ويسأل عن شكل لباسه وأسلوب عيشه حتى يقلده بشكل تام!

في الواقع، إن التهاون في بناء الشخصية المسلمة ابتداء لا يمكنه أن يثمر شخصية مجاهدة، ذلك أن الإسلام أساس قبل حمل السلاح وأن التربية المستقيمة من أسباب فلاح الجهاد، فلا يمكن أن نربي طفلا ليصبح مجاهدا ونتساهل مع كذبه أو إخلافه الوعد أو خيانته لأمانة، هذه الأخطاء التي قد يهونها البعض قد تكون كارثية إن شبّت عليها نفسه وأصبح مجاهدا.. يحسبه هينا وهو عند الله عظيم،

ولعل أكثر الأمراض في الساحة الجهادية ترجع لضعف في التنشئة أو الاهمال لتفاصيل الاستقامة وصفات الشخصية المسلمة الحقة أو لسطحية في اعتقاد المبادئ والثوابت فلا تطرق أعماق القلب بل تطفوا على السطح وسرعان ما تتبدد مع أول امتحان.

ولهذا فإن تنبيه الطفل منذ صغره لشناعة هذا الكذب أو لبشاعة الإخلاف بالوعد أو لقبح الخيانة للأمانة سيجعل صفات الصدق والوفاء والأمانة تتجذر في نفسه المسابقة وستحفظه من الوقوع في حمى النفاق أو الغرق في وحله.. إن هذا الباب ذو أهمية عظيمة وعلى الأم والأب والمربيين للجيل الجهادي أن يولوه اهتماما كبيرا لأنهم يحفظون به بنيان أمة مجاهدة شرط فلاحها الصدق والوفاء والأمانة.

والأمثلة على تعليم الطفل هذه الصفات المهمة كثيرة وأذكر هنا إسقاط العقوبة عند الاعتراف بالحقيقة والتعزير الجاد عند معاودة الكذب أو الخيانة أو الإخلاف بالوعد، ذلك أن الطفل سيعتاد تلقائيا أن عواقب الوقوع في هذه الذنوب وخيمة وأن لا خير منجاة من الصدق. كذلك الاستعانة بالقصص الزاخر بمواقف النبل والمروءة والصدق والوفاء وكل مكارم الأخلاق في سير الأعلام وسير السابقين وحتى في سير الحاضرين من المجاهدين القدوة بين الصفوف، ولقد رأيت طفلا ينكر كذبا ظاهرا على رجل من شدة ما تكرر على مسمعه عن قبح الكذب، ولا يعني هذا أن نتعامل مع الطفل بلغة صماء، لا تتفهم ضرورات الظروف التي قد يمر بها كمجاهد أو داعية أو أب أو ابن، فلابد من تعليمه استعمال المعاريض التي

استعملها السابقون الأولون وأن نعلمه التحايل المحمود إن صح وصفه، وهذا من ضرورات العمل الجهادي وأعمدته الأمنية.

ولعلني أضرب مثلا لنموذج تربية جهادية طيّب، إنها قصة أحد المهاجرات التي كانت تتميّز عن غيرها بشدة اهتمامها ومتابعتها لكل حركات وسكنات أولادها حتى اشتهرت بهذا الأمر، وكانت شديدة الولع بتعليمهم والحرص على جودة تحصيلهم، فكانت في المجلس الذي تنشغل فيه النساء تتشارك الحديث معهن ولكن بصرها يتابع حركات أطفالها فمن أمسك بكأس الماء للشراب واقفا تستدركه أن اجلس واشرب على طريقة السنة، فيتجاوب معها طفلها بسرعة وأراه قد جلس وشرب باليمنى على ثلاث وسمى الله قبل ذلك، فيسعدنا المشهد، ثم تراها تطبخ أو تعتني بصغيرها ولكن بصرها على الآخر وقد انشغل في اللعب فتناديه ليفتح كتابه ويسمعها ورده من القرآن وهي في شغل!

في الحقيقة من الصعب أن نجد نماذج كثيرة لمثل هذه الأم لكنها نجحت في أن تجعل صغارها يحفظون كتاب الله قبل سن البلوغ بل ويتقنون علوم الشريعة والفقه والحديث بل ويتوسعون في بقية العلوم كعلوم الحياة الأخرى.. وهذا ما يعكس ثمرات المراقبة الحثيثة والسعي الجاد في تحويل التحصيل العلمي لتطبيق حقيقي، فحفظ الحديث لا يجزي لوحده بل لابد من تطبيقه، وكذلك كان حرص هذه الأم الواعية، وما يزيد الإعجاب أن هذه الأم أعجمية وليست عربية ولكنها تحرص على أن يتحدث أبناءها اللغة العربية وتجتهد كثيرا في ذلك رغم ما يواجهها من صعوبة في الفهم والحديث بالعربية، ثم هي بنفسها طالبة علم أراها منكبة على

كتب للفقه وللعقيدة وللتفسير وهي تتأتأ العربية وتسألني عن المفردات الصعبة فأهونها عليها، فتستمر في التعلم وتوجه أسألة عميقة قوية تعكس فهما عميقا قويا لما تقرأه. نعم هكذا هن بعض الأمهات مدارس بحق، وفي ذات الوقت عطشى للتعلم والاستزادة، وكم كان طريفا مناقشاتها العلمية مع أبنائها وترديدهم المتون وتذاكرهم الأحاديث.. وكم كان ملفتا تصحيحها لآيات يقرأها ابنها خطأ في حين لا تحفظ هي من القرآن إلا بعض الأجزاء وتجد صعوبة في نطق العربية ولكن بصيرة الإيمان تقودها لما فيه كل خير فكفى بها نعمة.

نعم إن وسط الهجرة والجهاد لهو أروع وأنسب وأفضل وسط لتنشئة جيل متميز مختلف عن بقية الأجيال، فهي محاضن حقيقة لجيل لا يركع إلا لربه يأخذ هذا الدين بقوة قد تجاوز مكائد الغرب الكافر من إعلام أو إفساد ببرامج موجهة لهدمه مدروسة، فهو ينتهل من المعين الصافي للكتاب والسنة، يدرس التاريخ الماجد للأمة .. يتشرب سير الصالحين والعلماء العالمين .. يستقي من نماذج الشجاعة والفروسية والجهاد والرباط .. ينشأ صابرا مصابرا، يبحث التقوى، ويهرب من الذنب، يعرف ألوان الموت وبصره متصل بالسماء، يوالي في الله ويبرأ إلى الله، إنها قصة مصانع للرجال والنساء تبني أجيالا صاعدة لم تعرف الأمة لها مثلا إلا في زمن غابر لكنه مليئ بالانتصارات ومزدان بلباس المجد.

نعم، يوفر الجو الجهادي أفضل بيئة لتنشئة جيل مستقيم، يفتح عينيه ابتداء على الحقيقة، ويعرف أن معركة الحق والباطل مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

وأن التمسك بالدين ونصرته سبيل الرقيّ والحرية والازدهار الحقيقي، يبتعد عن تلك التعقيدات اللامفيدة والتي لا تزيد الإنسان إلى اقتصادا في إقباله على الله.

وفي الواقع إن حديث الصغار وهم يلعبون ليدعو للتفكر.. كم هو رائع عالم الطفولة الجهادي! كم هو جميل مشاهدة الصغار الكبار أصحاب الهمم السامقة... لقد شاهدت صغارا يتحدثون كأنهم قادة.. يوجهون القوات وهم يلعبون، يأمرون ويكبرون لقتلهم عدو لله أو فتحهم بلاد الله في خيالهم الملهم.. هذا وسطهم الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه ويكبرون فيه .. فالحمد لله.

ثم إن تلك التنشأة لها أسس وقواعد إن لم يتم احترامها فقد يخرج لنا جيل مغشوش لا يمكن أن يحصل من وراءه نصر أو سبق، وما أسوأ الهمم المغشوشة التي ظاهرها العزم والصدق وباطنها المكر والخبث، تلك التي تنتهج الأساليب الملتوية لبلوغ المجد، والمجد لا يبلغه ماكر، يقوده الحسد أو يقوده الجشع، يريد العلو في الأرض، ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص 83]، قال الشاطبي – رحمه الله– : "آخر الأشياء نزولا من قلوب الصالحين حب السلطة والتصدر"، وقال سهل – رحمه الله–: "من اشتغل بالفضول حرم الورع!".. إننا نريد أن نقدم جيلا يعبد الله كأنه يراه .. يحاسب نفسه قبل غيره .. يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويسهر على الاستقامة كما يسهر على الحراسة في الليل أو تنظيف سلاحه في النهار!

لهذا فإن التربية الجهادية مقرونة بوصال وثيق مع التربية الإسلامية، وقبل أن تعلم ابنك الرماية علمه الإيمان علمه الصدق مع الله.. علمه الإخلاص .. علمه التواضع وازرع في نفسه أن التقوى هي أساس الفلاح.

ولا يمكن أن نحقق هذا إلا إن كنا أهلا له، فإن لم نعتني نحن كمربين باستقامتنا فسنجد نتائج غفلتنا في جيل صاعد، وقد شاهدت الأطفال يكررون أخطاء أمهاتهم ويعيدون ذات التصرفات السيئة كما رأيت العكس تماما، رأيت أطفالا يعيدون عبارات أمهم الخلوقة ويقتدون بأفعالها المحمودة.

فإن كانت أما كريمة متصدقة، فستعلم أبناءها الترفع عن الأنانية والجشع وحب النفس وتدربهم على التقاسم والإيثار والكرم والصدقة ولو بطريقة متدرجة بحسب المرحلة العمرية، فتعليم الصدقات فن تجيده القلة وقد تتفاجأ الأم بطفلها بخيلا قابضا يده في حين كانت هي الكريمة ذلك أنها لم تعوده التقاسم والإيثار أو أن يهدي أحدا أو يكرم أحدا.. وما تغفل عنه لا تطلبه.

ومن المواقف التي بقيت عالقة في الذهن موقف ذلك الصغير الذي لم يتجاوز السابعة وقد افتقد والده المحبّ حين استشهد في معركة شرسة قبل أن يوصيه أية وصية، لكن السلوك الحسن والخلق الراقي لهذا الوالد الشهيد الذي عوّد عليه ولده أكسب هذا الولد محبة لا توصف لدرجة أننا تعجبنا من شدة تقليد هذا الطفل لأبيه الراحل خلقا وسلوكا، شدنا أيضا كثرة ذكره له وزدنا عجبا من عباراته التي يخرجها وكأنها من أمهات الكتب، حين يتحدث عن المستقبل الذي يطمح إليه،

وهو في قلب طفولته يتحدث عن تحقيق وعد والده بنصرة الإسلام ورفع راية التوحيد على ربوع بلاد المسلمين ونصرة المستضعفين وتحرير للأقصى قائدا لا جنديا، لقد كان طفلا من بين الكثير من أبناء الشهداء الذين لمحت فيهم عبقرية فذّة ورجولة نادرة .. في أعينهم قوة لم أرها في أطفال آخرين في حياة أخرى، إنها وربي بركة الشهادة، لقد بارك الله في ذريتهم فرأيناه شعاع نور يتوقد في همم صاعدة، تفخر بشهادة الآباء.. فاللهم أقر عيون الموحدين بالأبناء.

إذا ما مات ذو علمٍ وتقوى فقد ثُلِمَت من الإسلام ثلمةْ

وموت الحاكم العدل المولَّى بحكم الشَّرع منقصةٌ ونِقمةْ

وموت العابد القوَّام ليلًا يناجي ربه في كلِّ ظُلمةْ

وموت فتىً كثير الجود مَحْلٌ فإنَّ بقاءه خب ونعمةْ

وموت الفارس الضِّرغام هدمٌ فكم شهدت له بالنَّصر عزمةْ

فحسبك خمسةٌ يُبْكَى عليهم وباقي النَّاس تخفيفٌ ورحمةْ

وباقي النَّاس هم هَمَجٌ رعاعٌ وفي إيجادهم لله حكمةْ!

وعلى الضفة الموازية يعرف أطفال الجهاد عالم الرؤى الصالحة والمبشرة، فكم من طفل يعيد في الصباح رؤياه على والدته وقد اغرورقت عيناها بالدموع حين يصف لها تفاصيلها الرائعة.. وكثيرة هي تلك الرؤى التي تقشعر لها الجلود ثم تستأنس لها الأرواح وهذه من بركات الجهاد.. وإن وقفت وقفة هنا لا للاسترسال بل للتأكيد أن الرؤى المبشرة والرؤى الصادقة أمرها عجيب في أراضي الرباط، كرؤيا الرسول –ﷺ– وصحابته الكرام والصالحين والوصايا الذهبية والبشريات المبكية، التي يحفظها المجاهدون والمرابطون في قلوبهم ويحمدون الله عليها، وقد يقول قائل هذه ليس بذات أهمية قلنا إنما هي للاستئناس لا نبني عليها.. وأسرد هاهنا أمثلة بسيطة لذلك، ففي أحد الأيام كان هناك قصف شديد على أحد القرى التي يسكنها المجاهدون، وكانت الأسر بين رجاء وابتهال، والأطفال في هذا الخضم يترقبون ولكن لا يخافون!

في ذلك اليوم أخبرتني أخت مهاجرة أنها رأت رؤيا واضحة، أن قذيفة سقطت على بيت الجيران وقتلت الجارة.. وقلنا لعله خير فلا نخبرها وندعو الله أن يسلم، العجيب في اليوم التالي، وفي نفس التوقيت الذي رأته المهاجرة في الصباح، سقطت قذيفة على تلك الجارة وقتلتها بنفس الوصف الذي رأته المهاجرة! فكبرنا واسترجعنا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي واقعة طريفة مختلفة، كانت هناك مهاجرة جديدة لم تعتد لسان القوم ولا تفهم لغتهم، فسمعت في الثالثة صباحا صوت أقدام للمجاهدين وهم يتحدثون بلغتهم الأعجمية، فشدتها الحركة وهي حزينة لجهلها ما يحصل، ثم نامت ورأت في منامها

مجاهدة تأتيها وتخبرها ترجمة ما سمعته من حديث فاطمأن قلبها حين استيقظت ثم سألت الأخوات عن سبب الحركة بالليل وماذا كان هناك.. فتعجبت عندما وجدت الأخوات يخبرنها التفاصيل تماما كما رأتها هي في ترجمة الرؤيا، بل الترجمة كانت موافقة لتفسير الأخوات بنفس العبارات ما دعى للدهشة والحمد لله.

وأخرى تخص أمة الإسلام، رأي فيها رسول الله - ﷺ - على شرفة في السماء السابعة يطل من قصر عظيم يرقب الناس من تحته وهم في شغل شاغل ، كانت الكرة الأرضية تظهر صغيرة تعجّ بالناس ، منهم من يجاهد ومنهم من يركض لأجل كسب عيشه، وكان رسول الله -ﷺ- شابا يلبس الأبيض ووجهه كالبدر منيرا، ينظر من هذه الزاوية ثم ينتقل لتلك، فنادى صوت قائلا: إنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يراقب أحوال أمته! لقد كانت رسالة لأمته! وكم من الرؤى تواترت كان فيها المجاهدون يصلون خلف عمر -رضي الله عنه- أو أحد الصحابة الكرام.. ورؤى كثيرة أخرى لا يمكن أن نسردها هنا ولكن لتبيان أن المؤمنين حين يمرون بأحلك الظروف وأشدها تتواتر عليهم الرؤى المؤنسة والمطمئنة التي تدفعهم للاستبشار والحمد الكثير لمولاهم.

بعد هذا الاستطراد نرجع لأطفالنا ومجاهدينا الصغار..

❖ الذكر:

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران_ 36] ، ولا شك أن كل أم رزقت بالذكر والأنثى تدرك درجة الاختلاف بين التربيتين، فكلاهما تركيب نفسي مختلف عن الآخر، والتعامل معه يحتاج لحكمة ودراية بحاجيات ومعالم بناء شخصية الفرد منهما... ولكن الذكر في أرض الجهاد يعد لعظيم آت، ويصقل لتحمل الشديد ويجهز لتحمل مسؤوليات مختلفة عن ذلك الذكر الذي ينشأ حياة طبيعية بدون تكاليف فرض الجهاد، يعيش في دعة وسعة وهدفه دنيوي محض ولا تتعدى مراحل إعداده في الحياة القدرة على عيشة كريمة هانئة، بينما الذكر في الجهاد يفتح عينيه على واقع محتقن بالمواجهات ويكبر وهو يردد آيات وأحاديث الجهاد، يشاهد قوافل الشهداء ترحل أمامه مخضبة بالدماء، وأخرى تتجهز بعزة لا توصف للقاء الأعداء، يعرف حقيقة المكر الصليبي بتفاصيله، يعرف الموت كما يعرف الحياة، فلو جئنا بأحد لم يعش في أرض الجهاد وأخبرناه أن الصليبيين لا يميزون بين طفل وامرأة ورجل في حربهم لتعجب واستنكر واعتمد تصريحات بالية تلمع لنزاهة الجرائم الغربية بحق الشعوب، وعلى رأسها المسلمة، بينما أصغر طفل عرف القصف والهجمات الغربية الحاقدة على ديار المسلمين سيؤكد بنفسه أن القوات الصليبية هدفها القتل لمجرد القتل، سواء كان الهدف امرأة أو طفلا أو شيخا عجوزا، ولأوضح الصورة.. أقص قصة ولد صغير لم يتجاوز الخامسة من عمره، كان يقبع تحت وطأة القصف في أحد الثغور وكانت أمه تحيطه وإخوانه وتردد الشهادتين وهي متجهزة للموت، وكان الولد في كل حين يسمع

سقوط قذيفة يرتج لها البيت وتتساقط شظاياها على سقفه، ينظر في عيني أمه، ألا يعرفون أن هنا أطفال؟! ألا يعلمون أن هناك أمهات؟ فكانت الأم تجيبه هم لا يهتمون لذلك فقصفهم عشوائي ويزعمونه محدد.. وبعد لحظات خرجت الأسرة القابعة تحت القصف لتركب سيارة وتبتعد عن المكان من شدة ذلك القصف الذي طال زوايا البيت الأربع.. خشية أن يكون مقصودا لاستهدافهم، فما أن ركب الجميع وأراد السائق أن يتحرك لا توقفه قذيفة جبانة ولا صوت انفجار عنيف، أضاء أنوار السيارة -وكان القصف ليلا- فإذا به يرى عددا كبيرا من الأطفالا والنساء جميعهم افترشوا الأرض أمامه كالبساط وهم يسدون آذانهم خشية سماع صوت القصف، وكانوا هؤلاء من فقراء الشعب الذين ليس لديهم إلا سقوفا من قصدير أو بيوتا هشة لا تقاوم أدنى اهتزاز، لقد كان منظرا مريعا ترسخ في ذاكرة هذا الطفل، وقد كان هذا الواقع الأليم كفيلا بشحذ العزم على تأديب هؤلاء القتلة الذين لا يرعون حقا ولا يحفظون لصغير أو عاجز أو مستضعف حق. وطوت السنين تلك الصفحة، ونسي الطفل ما عايشه من قصف ولكنه لم ينس أبدا صورة أولئك المستضعفين، ولم يزل يتوعد الكفار على إرهابهم أولئك الصغار رغم أن الحادثة مرّ عليها سنوات طويلة.

في الواقع الذكر ينمو بشكل رائع في أرض الجهاد وهو يعي واجباته، وتسأله الأم ماذا ستصبح حين تكبر فيكون الجواب الذي لا جدال فيه، مجاهدا يا أمي! وماذا ستفعل حين تصبح مجاهدا؟ سأقاتل الكفار وأنصر المسلمين، ومنهم من يضيف وأحرر المسجد الأقصى! إجابات تشرح الصدر وهمم صاعدة تبشر بالنصر، وعقليات لم تعرف من الحياة إلا أن العزة لا تقطفها إلا سواعد الجهاد، وأن

الإعداد المتواصل وحمل همّ الإسلام لهو من أهم أسباب الانتصار على قوى الطغيان، ومما يذكرني في هذا الموقف أن الأطفال الذكور أكثر من يسارع في خدمة المجاهدين بل إني رأيت شبابا في عمر الثالثة عشر والرابعة عشر يفرون من أسرهم وحين تفزع الأم وتبحث عن فلذات أكبادها تتفاجأ بالتحاقهم الحماسي بمعسكرات التدريب دون سابق إنذار أو طلب إذن، وكم من الحالات بدأت باختفاء الفتى ليظهر لاحقا متدربا جاهزا للحرب! لم يؤزه أحد ولم يدفعه لذلك أحد بل حبا في الجهاد والقتال في سبيل الله وحينما سئل أحدهم لماذا استعجلت الالتحاق بالمعسكر كان يردد ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه 84]، وماذا أنتظر؟ ولما التسويف! وقد تعجبت من همة بعض الشباب الذي يبحث عن كل ما يقاتل به الكافر، فتجده يبحث الدروس ويتعلم الفنون التي ترفع من درجة معرفته الحربية بل ويسابق في تحصيل الدورات التخصصية، إن الجهاد جامعة بحق.. تخصصات ودرجات، وقد فقه هذا شبابنا فهبوا يسابقون في الله لنيل أعظم شهادة في هذا الوجود، شهادة تشهد لها ملائكة السماء والأرض، فطوبى لمن تخرج وبشرى لمن ينتظر.

قال ابن القيم – رحمه الله-: "النية الصالحة والهمة العالية نفس تضيء وهمة تتوقد".

ومن أهم الأمور التي تعنى بها الأم في هذا المجال، هو أن تبقى صديقة ذلك الذكر المجاهد الذين كبر وأصبح يعرف ما له وما عليه وربما يتميز ببعض الحماسة لكنها حماسة في الإسلام وحماسة في الدفاع عن حياض هذا الدين، وأعتقد أن الدور هنا يقع على عاتق الأب أو الرجال في ساحات الإعداد في صقل وتوجيه هذا الرجل

الصغير، ذلك أن الأم ستكون بعيدة عن معسكرات التدريب ومدارس الإعداد الحربي.. وقد أدت ما عليها في إعداد شخصية مسلمة مستقيمة مجاهدة تتوق لنصرة الإسلام والمسلمين، وفي هذه المرحلة ستتجلى ملامح عطاءها وتضحياتها وبذلها من أجل أن ينشأ هذا الطفل في أحسن الأحوال وبأحسن المقومات الشخصية لتحمل ما هو آت.

ومما يجب الإشارة إليه في هذا المقام أن هناك سوء فهم لمعنى استعمال الشدة مع الذكر في التربية الجهادية، فهناك من يعتقد أن الشدة تعني الضرب المبرح واستعمال العنف المؤذي وتعريض الولد لأنواع من القسوة لا يقوى عليها قلب! للأسف هذه الفكرة قد انتشرت عند بعض المعلمين وينصحون بها ولكن الشدّة لا تعني ذلك.. بل تعني الحزم في التربية والتكليف الجاد بالمهام والتدريب الشاق على تكاليف الجهاد، وإن كانت تحتاج لضرب فهو ضرب يوافق طريقة الرسول -ﷺ- في تربيته لأجيال الصحابة، فلم أر في كتب السير والتاريخ ما يتحدث عن قسوة في الضرب لحد أن ينهزم الطفل نفسيا ويسقط جسديا، بل رأينا برنامج شديدا حازما يصقل شخصية هذا المجاهد الصغير لتحمل المشاق، وتعويده الصبر على الشدائد وتمرينه على المصابرة.. وإن ضرب فبميزان عدل.. فضلا عن التربية الإسلامية القويمة .. ولقد ثبت أن القسوة الزائدة عن حدها والضرب غير المبرر، له مضاعفات سيئة على شخصية هذا المقبل على ساحات الجهاد كما سبق وأن أسلفت وهي سبب الجبن والتراجع وليس الشجاعة والقوة كما يعتقد البعض، فكثرة الضرب تخلق الإهانة في قلب هذا المقبل وتفقده الثقة بنفسه وتدفعه للهروب من واقعه أو امتهان الأساليب الملتوية للنجاة بنفسه كالكذب والمكر وهذا أصل الهمم

المغشوشة، بينما لم أر أفضل من الحوار الراقي والتعزيز الراقي والذي تقوم به السلوكات السيئة، وأساليب التقويم كثيرة سبق وأن تعرضنا لها.

علموا أولادكم حب الجهاد، حب الإسلام حب كل خير، لا تكرهوهم على ذلك فوالله إنه أمر يحبّ فطرة فلا تنفروهم من أروع ما في هذا الوجود!

ومما تم رصده مع أغلب الجيل الجهادي الذكوري شدة علاقتهم الروحية مع أمهات محرضات ملهمات مرشدات، فهذه الأم تصبح ملاذه الآمن للاستشارة وللشكوى وللفضفضة وإن أصبح يوما قائدا، وكم من شاب مقبل على الجهاد لم يجد مثل نصائح أمه في شد عزمه وتقوية رأيه وهدايته لخير ما في هذه الدنيا.. فأيتها الأم رددي على مسمع ابنك المجاهد قول ابن القيم –رحمه الله–: "السيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليها إلا جسر من التعب". واحبسي دمعك حين توديعه واحتسبي الأجر عظيما حين رحيله، وقد شاهدت أما مهاجرة كان لديها ولد صالح نحسبه، رضع من حليب الجهاد حتى بلغ أشده ولم يزل مرابطا مجاهدا بارا بوالدته حتى أصبح يملك قلبها ووجدانها، وفي يوم كانت تبحث كيف توفر له بيتا يستقر فيه مع زوجته التي تزوج بها حديثا إذا بطارق يطرق بيتها ويبشرها أن ابنها استشهد في المعركة الأخيرة التي لم تدر بعد أنه نفر إليها .. فقد كان مسابقا لا يقاوم نداء نفير، ورحل الحبيب ولم تتمالك الأم نفسها لولا أن ربط الله على قلبها، فهذا مثال أم قدمت فلذة من فلذات كبدها، وهي محتسبة، ولا أخال دمعها وقف ولا حزنها نضب ولكنها بكل تأكيد تعد أخاه الصغير لنفس الطريق فيا لها من أم ويا لها من ذرية طيبة، تقبل منها الله وبارك في سعيها.

❖ الأنثى:

تلك الزهرة الطرية التي تتحمل مهاما جساما، تلك الروح المرهفة التي ترى الأهوال، لابد لها من عناية خاصة واهتمام في أرض الجهاد والرباط، هي التي ستكون زوجة وأما وأختا لمجاهد، هي التي تدفع المجاهد الرجل للأمام وتحرضه وتستوعبه، كيف يكون الجهاد بدون صبر هذه النساء، وكيف سيكون الرباط بدون حضور هذه الأرواح التي تزينه بعطاءها ومحبتها،

والأم مدرسة إذا أعددتها.. أعددت شعبا طيب الأعراق..

الأم أستاذ الأساتذة الألى .. شغلت مآثرهم مدى الآفاق..

فما بالك بالمجاهدة، والتي ستعد بها أجيالا بل جيوشا مسلمة مقاتلة. وإذا علمت رجلا فإنك تعلم فردا .. وإذا علمت امرأة فإنك تعلم أمة.

لن أخوض في التاريخ الزاخر بنماذج النساء المجاهدات الباذلات ولن أسطر لكم هنا اقتباسات من المواقف العجيبة الملهمة لأم عمارة وأم حرام - رضي الله عنهن- وأخريات ممن تتبعن أثرهن في درب الجهاد، فقد ألفت فيها الكتب الكثيرة والمقالات العديدة، ولكنني أحدثكم عن نموذج نعيشه في واقعنا اليوم، ونعده نحن بأنفسنا.

ومن واقع التجربة يبقى أهم ما تتربى عليه الفتاة هو حفظ كتاب الله وتدارسه وتوجيهها لطلب العلم الشرعي .. كما أرى تنمية قدراتها الأدبية والعلمية كتعليمها

فنون التمريض لمن لديها قابلية ومحبة لهذا المجال، أو فنون التعليم والتربية لتتولى تدريس الأطفال المقبلين بعدها.. وبكل تأكيد تعليمها الفنون الحياتية لتدبر معيشتها في أحسن الظروف وكذا أسوأها، إنها درة البيت وقرة العين وأمل عظيم لو اعتنينا بها، فلا تستعجلوا التزويج قبل الإعداد الجيد، وتعليمها دينها.. حتى تستلم المهمة ناضجة واعية فتبلي البلاء الحسن. فكما نعد الشباب للحرب وتكاليف الصراع نعد الفتيات لبناء جيل جديد يكون المدد لخاتمة النصر وميراث المجد.

والرفق مع الفتاة ضرورة ولاتعاقب كعقاب الذكر، ولكن أيضا الحزم والشدة وتعليم الصبر من الضروريات.. ذلك أن ظروف الترحال والهجرة تتطلب قلوبا صلبة وعزائم شديدة وصبرا لا يقدر بثمن، وتعويد الفتاة على هذا سهل .. إذ أن نشأتها في هذا الوسط تكسبها هذه الصفات اللازمة لمواصلة المسيرة بشكل تلقائي، فلن تتعثر عند أول عقبة ولن تنهار عند أول فاجعة.

ومما تم تجربته مع الفتى أو الفتاة إذا واجهته عقبة وتعثر أمامها وتردد، هو ترديد الكلمات المحفزة، أنت لها، أنت بطل، أحسنت، أنت شجاع ستفعلها! لنرى بعدها ذلك المفعول العجيب لهذه الكلمات لتجاوز العقبة أو الامتحان.. وهذا مجرد مثال واحد في كيفية تعليم الطفل ذكرا كان أو أنثى الشجاعة والإقدام أو الثقة بالنفس والصبر على ظرف ما. ومما يحضرني هنا، مثال فتاة صغيرة كان عليها أن تنزل انحدارا حادا وتقطع نهرا وتصعد تلة عالية، خلال سفر في طريق شاق وكانت الصغيرة خائفة جدا، ولكن تلك الكلمات (أنت بطلة، شجاعة، ستنجحين..) جعلتها تنزل بصلابة وثقة وتقطع النهر وتصعد التلّة بشجاعة

الصبيان وكم كانت فخورة بنفسها لذلك الإنجاز، هذه لقطة من مشهد شجاعة فتاة فكيف بشجاعة الفتى! هذا ما تصنعه حياة الهجرة والجهاد بهممنا الصاعدة.

وخلاصة القول في تربية الإناث اشغلوا أذهان هذه الفتيات بالعلم تنشغل عن كل تافه، اشغلوها بالعمل تنشغل عن كل فائت.. أشبعوا قلبها بالحب والرفق والحنان تكن مصدرا له في يوم مقبل وتعطي بلا كلل.

❖ قصص مؤثرة للاعتبار:

الذاكرة مزدحمة بأمثلة وقصص مؤثرة تعتبر منها النفس البشرية وتتعجب لها في عصر كثر فيه الدجل والتمثيل وعمّت فيه الغفلة والنسيان، وإن الحديث عن قصص الجهاد في وسط الأسرة والمجتمع المهاجر والمناصر في أراضي الرباط حديث ذو شجون يبعث الدمع من المقل ويحيي فيه ذاكرة التاريخ المجيد للمسلمين، وتتواتر فيه تلك الحقيقة .. حين تقسو الظروف فيشع نور الرحمة من مكان ما وتتنزل السكينة وتزهر النفس.. إنها أكثر الحالات تكرارا في أرض الجهاد .. وكم من بسمة رسمت على ثغر صغير أو كبير حين يحل الفرج.

وسأسرد بعض المواقف بعشوائية لننظر كيف يعيش هذا الجزء الأسري من الأمة المرابط على ثغور المسلمين، وما أحكيه ليس ضربا من ضروب الخيال ولا اقتباسا

من كتب التاريخ الماجد ولا مثالا مثاليا فاق الحقيقة، بل نتحدث عن واقع معاش كما هو بلا تزويق ولا تلفيق.

كان أحد المجاهدين المسابقين كما نحسبه يحمل همّ أخته التي غفلت عن دينها وعن واجباتها تجاه أمتها، وكان هذا الأخ الصالح، يحرص في كل ساعة استجابة والتقاء الصفوف أو خلوة وسجود أو تفكر وتذكر، أن يخص أخته بالدعاء أن يهديها الله وأن يمنّ عليها بالهجرة والجهاد، في هذه الأثناء كانت أخته غارقة في دنيا دنية، لم تعرف بعد معنى الالتزام ولكن الله أراد أن يقر عين أخيها المجاهد المغبرة قدماه، فإذا بنور الهداية يخترق جدار قلبها وإذا بها تتغير بين يوم وليلة فتترك عملها وتلتزم بفرض الصلاة وتلبس الحجاب والنقاب بل وتبحث عن عمل دعوي، وكانت هذه أول خطوات خطتها في طريق الاستقامة، وحين علم المجاهد بما حدث مع أخته لم تكد تسعه الأرض فرحة فهب يحتضن هذا الإقبال ويرشدها لطريق الجهاد فما كان منها إلا المحبة والقبول، وارتمت في بحر العطاء الجهادي تساعد المجاهدين حتى لفتت لها أنظار الكفار، فشجعها أخوها على الهجرة ففعلت وقدمت الأرض التي لم تفكر يوما أن تطأها قدماها، وبعد فترة ليست طويلة وبعد أن أدركت الرباط، استشهد أخوها، تاركا في قلبها حبا لا يبارى وفراغا لا يعوضه أحد! وكان هذا الأخ اللبيب حين قدوم أخته للجهاد أكثر برا بها مما سبق، ولا يكاد يمر يوم حتى يكرمها بعطاء أو يتفقد حاجاتها أو يلاعب أبناءها أو يحدثهم قصص البطولة والفداء.. وحين رحل كان جرحا نازفا .. حتى أنها قالت: لم أعرف الحب الأخوي إلا لما اهتديت ولم أقدره حق قدره إلا لما هاجرت ولم أكلم في أحد كما كلمت يوم افتقدته.

ومرت السنين وولدت المهاجرة ولدا أسمته على اسم أخيها الشهيد فكان صورة منه يمشي على الأرض يرفع صوته بهتاف الله أكبر والويل لمن لمس رايته الصغيرة!

وفي عبرة أخرى، كانت قصة طريفة، بعد انحياز المجاهدين في بعض المناطق الريفية، كانت الأمهات متعبات من الترحال والسفر طوال الليل فلم يكن سهلا عليهن الاستيقاظ باكرا لإعداد شيء من الطعام لعشرات البطون الجائعة التي بدأت تستكشف محط الرحال، فجذبتنا رائحة خبز شهي، فتعجبنا من أين هي يا ترى والمكان جديد! فإذا باثنين من أبناء المهاجرات أعمارهما بين الثالثة عشر والرابعة عشر قد استشعروا وضع أمهاتهم ولامسوا مدى الإرهاق والتعب الذي نال الجميع ونظروا في عدد الأطفال الجياع الذين ينتظرون إفطارا ينسيهم لأواء السفر، فما كان منهما إلا أن أوقدا النار وأعدا خبزا من أجود أنواع الخبز وأعدا الشاي اللذيذ وأتما العمل بطبخ بعض الحبوب بطريقة قد تغيب على كثير من النساء لما فيها من تتبيلة مميزة، وجهزا الصحون .. كلما استيقظ أحد قدما له صحنا ساخنا من الطعام وكوبا من الشاي، فتأثرت جميع النساء وفرح الصغار ووقفت متعجبة من هذا السلوك، لقد كانا يتقنان صناعة الطعام بشكل عجيب، وكانا مسابقين لتلمس حاجات الآخرين وكانا بحق من أكثر الشباب في عمرهما طاعة لوالديهما وخلقا حسنا، ولعل العبرة من هذه القصة أهمية تعليم المجاهد كل ما يعينه في هجرته وجهاده وإن كان في مجال الطبخ، فسيكون هذا المجاهد خير معين لإخوانه في الجبهات، بل إن أكثر الإخوة محبة وفائدة لإخوانهم هم الذين يقومون على ثغر الخدمة والإطعام، وقد علمنا أن الكتائب المرابطة السعيدة هي تلك التي حظيت

بأخ مجاهد يتقن فن الطبخ ولا يزال يتفقد حاجات إخوانه.. ومن عرف الرباط عرف معنى هذا الأمر.

ومما علق في البال أيضا من ذكريات هؤلاء الأطفال الرجال، أن ما من أخت تقع في مأزق أو تحتاج مساعدة حتى يسارع هؤلاء الفتية لمد يد العون لها .. فيحملون عنها الثقيل ويصلحون لها المكسور ويحضرون لها المطلوب! .. وكم هو جميل شعور السعادة الذي يملأ القلب حين نرى ذلك الفتى الذي كان طفلا صغيرا أصبح شابا طويل القامة يلبس لباس المجاهدين وفي عينيه بريق المحبة لهذا الدين، فيأتي المعروف من جهته محببا ويكون الإحسان على يده مرغبا، ولا يجادل أحد في أن هذه السواعد التي كانت يوما صغيرة ضعيفة قد أصبحت قوية أمينة تساعد وتسد ثغرا وتمد مددا لأهل الجهاد والهجرة، فبارك الله فيها واستعملها ونصر بها.

ولعل من أكثر ما يؤثر في النفس حين نشاهد الشاب الحافظ لكتاب الله يؤم المجاهدين، وهو يقرأ بتلاوة خاشعة وصحيحة ولا يخطأ في قراءته، وقد يتكرر هذا المشهد كثيرا في شهر رمضان المبارك الذي يكون له روعته التي لا تنسى في أراضي الرباط، وقد سمعنا فتيانا يخطبون خطبا بليغة ويقدمون النصائح الثمينة وهم لا يزالون في زهرة العمر، وآخرون يبرزون في اللقاءات العلمية والشرعية يرددون المتون ويجيبون الأسئلة بفطنة ونجابة سريعة، ناهيك عن مواقف المسابقة لساحات النزال حين يسمعون خبر اقتراب عدو أو تهديد خطر، فلا نرى في أعينهم جبنا أو خورا وحاشا بل نرى العزم والإقدام والرجاء أن يستعملهم الله، وهذه لوحدها تكفي للاستبشار.

أما نقاشاتهم فهي في الحديث عن تفاصيل معارك المجاهدين وأنواع الغنائم وطرق الكمائن التي كمّن بها للكفار، أحاديث عن الجهاد وكل ما ارتبط بالجهاد، فكلها ممتعة ومبشرة.

وما يحضرني من قصص تلك الشجاعة النادرة والاقدام القتال لطفل في الثامنة كان يعيش في قرية تبعد عن الثانية مسافة بعيدة لابد فيها من ركوب للسيارة وكان يريد أن يصلها وهو لا يجد فرصة للنقل، ولكنه عزم وقرر وأراد لقاء صديقه فيها، فحمل نفسه ومشى سبع ساعات متواصلة وهو الصغير الوحيد في رحلته بلا ماء ولا طعام، حتى وصل القرية وفاء لصديقه الذي أراد أن يزوره ويلعب معه ويبره! فهل رأيتم مثال وفاء كهذا، سبع ساعات مسيرة رجال بين الشجر والحجارة والصخور والأشواك! فعلها جندينا الصغير الذي يحفظ القرآن كله إلا البقرة وهو على وشك إتمامها.. ويحفظ المتون ويحفظ الحديث ويحفظ من العقيدة والفقه الأساسي المهم، وحين سئل لما فعلت هذا؟ قال لأنني أحب أن أفي بوعدي ولا أتراجع عن عزمي، والأعجب أنه حاول تكرارها مرات عديدة لولا رقابة أمه ومنعها له.. فاللهم اجعله من عبادك الأوفياء المنصورين.

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا ... فأيسر ما يمر به الوحول

ولعلي أختم بقصة عائلة مجاهدة كانت في الحقيقة رمزا لرحمة الله ولبركة الثبات على الدين والإقبال والتضحية في سبيله، وهي قصة عائلة مهاجرة وصلت لأرض الجهاد بأبنائها الذين ولدوا في الغرب، وقد كان الوالد رجلا مفضالا داعية لله شديد الولع

بالقراءة، حتى أنه هاجر يحمل حقيبة كبيرة ظننتها للملابس والمتاع فإذا هي مليئة بالكتب من كل الأنواع! كان رحمه الله رجلا يهب للمساعدة ولا يرد سائلا، ولا عجب أن اصطفاه الله بعد ستة أشهر فقط من قدومة لأرض الجهاد ليستشهد مقبلا غير مدبر.. تاركا خلفه زوجة مولعة بالجهاد وذرية تربت على ذلك... مرت السنين وحملت هذه الأم على عاتقها تربية أطفالها على حب الجهاد واستذكار مكارم والدهم الشهيد حتى أتم ابنها الأكبر حفظ كتاب الله، ولكن روحها كانت أيضا معلقة بالموت في سبيل الله، وقد شاء الله أن يصطفيها أيضا حين وهبت نفسها وحياتها لمولاها.. وأحسبها ممن أخلص الهجرة لله، فانتقل الصغار إلى حضن جدتهم ولكنهم صغار كبار، لم يرضوا بسفر جدتهم لأراضي بعيدة عن مواطن الجهاد، وانتفض الولد الذي لم يتعد الثانية عشر من العمر، ورفض طبيعة الحياة اللاجهادية الجديدة، وكذلك فعلت أخته، وهي التي تصغره بسنة، فتولت مهمة العناية بإخوانها الصغار لتضمن ألا ينحرفوا عما أوصاهم به الوالدين الشهيدين... رحمهما الله.. لقد تولت كل واجبات الأم الكبيرة والصغيرة من طبخ وتنظيف وتدريس وتربية! لترسم صورة عظيمة لمجاهدة صغيرة صابرة مصابرة فلله درها.

ولكن الجدة كانت تخشى أن تفقد أبناء ابنها كما فقدت ابنها الشهيد، فراحت تخطط لإبعادهم التام عن عالم الجهاد وتغريبهم في بلاد الغرب، ولما علم بذلك الولد المجاهد الصغير الذي تلقى التربية الجهادية الطيبة، وأدرك مصيره المحتوم إن لم يسارع في الهروب، حتى جمع أغراضه وأعلم أخته وسافر في غفلة منهم ليخرج من تلك المناطق ويتوجه إلى مناطق المجاهدين بعناء شديد ومشقة، وقد فاجأ المجاهدين

وصوله وتعجبوا من قصته وهو يقول أريد العيش في كنف الجهاد، فاحتضنوه ووفروا له السكن والدراسة وآووه ولكنه بقي يفكر في إخوانه كيف يخرجهم من هذا الظرف حتى يأمن عليهم فتنة الدنيا، هذا تفكير فتى لم يتعد الثانية عشر، وكيف نصفه! إنه تفكير عاقل لا طفل.. بل حكيم لا رجل، وقد اطمأن أكثر حين أكدت له أخته أنها على دربه سائرة وعلى وصية أمها ماضية وأنها لن تغفل عن هدفهم في البقاء على درب الجهاد حتى يلحقا بركب والديهما فكان هذا العهد بين الشابين الفتيين!

وفيما كان يذكره عن حياة اللاجهاد أنه التحق بمدرسة كان المعلم فيها صوفيا يخلط في العقيدة ويدخل الشركيات فكان فارسنا الصغير يستنكر ذلك ويصحح له فغضب منه المعلم فضربه ضربا مبرحا كاد يفتك به وترك بعدها تلك المدرسة.

هذا الولد كان يرى رؤى عجيبة منها التي يذبّ فيها وأخته عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومنها من يرى فيها الجنة وكثيرة تلك التي شدت من أزره وآنسته في وحشته، إنه ولد حرم الكثير لكنه يكنّ في قلبه الثمين، إنه بركة تلك الدماء الزكية نحسبها ولا نزيكي على الله أحدا.

صعب جدا أن أعد مواقف مجاهدينا الصغار ولكن معرفتهم عن قرب تدفع بالأمانة لتسجيل هذه المواقف الرائعة لجيل الجهاد الناشئ. وليس هذا إلا مثالا لكثير من شبابنا الصغير المجاهد الذي يمثل إشراقة أمل كبير في واقع أمة تعاني..!

❖ النموذج الناجح:

قد يعتقد البعض أن النجاح يعني أن تطأ سقف المثالية، وأن تكون أقرب للخيال من الحقيقة، أن تحقق ما لم يحققه غيرك وأن تغير ما لم يقدر على تغييره غيرك، أو أن تهزم قوى الكفر بين يوم وليلة أو أن تذهل العالم بسلاح عجيب وانتصار مهيب! ولكن في الحقيقة النجاح في أرض الجهاد حسب ما عايشه المرء وتوارثته الأجيال ووصلت له القناعات، هو أن تقدم القدوة في الثبات والصبر والعطاء لتسلم الأمانة كما هي لمن بعدك، تقدم كل ما في استطاعتك من عمل وتضحية في سبيل الله وتدعو لله على بصيرة وتصبر على تكاليف المسيرة ثم النصر من الله وحده، إن شاء عجله وإن شاء أخره ليبتلي عباده المؤمنين وليميز الخبيث من الطيب ولتمضي سنن الله كما مضت فيمن خلى من قبل من قرون، ولهذا تجد المجاهد يبذل كل ما لديه من قوة وإعداد وأسباب، فإن نال الظفر شكر وحمد وإن ابتلي بضعف أو تراجع حمد وشكر، وعاود العزم، ذلك أنه في عبادة وأنه يؤدي الفرض أما النتائج فمن الله وحده، ينصر من يشاء وقت ما يشاء، ولو أننا نعايش بقوة معية الله لأهل الجهاد، ونرى رحماته تتنزل بين المرابطين ونرى بأم العين أن مع العسر يسرا ونرى بركات وانتصارات وقد تظهر كرامات، لكن هذا لا يعني أن المجاهد مطالب بتغيير خريطة العالم وإلا فليس ناجحا، وقد سمعنا كثيرا ممن يزعم أن أهل الجهاد فشلوا في تحقيق شيء، فنتعجب لهذا الفهم الأعوج وهذه السذاجة في تناول فرض الجهاد، إنهم لا يعلمون أن ما يناله هؤلاء المجاهدين من أجر يومي لهو خير من كل أمانيهم، وأسمى من كل تحاليلهم وهم القاعدون، وإننا مطالبون بالجهاد

قبل أي شيء، وقد يتأخر النصر ولكنه لا ينعدم، وهؤلاء المستعجلون يعيشون بعيدا عن ساحات المواجهة الحقيقية وتخفى عنهم الكثير من حقائق الحياة الجهادية، وإن كان هناك قلة من الأقلام التي تتناول النتائج المصيرية التي حققها الجهاد في عصرنا الحالي والذي هو امتداد لجهاد سابق، إلا أن الحق وإن جادل فيه الناس، سيظهر لا محالة ويكفي أن رب هؤلاء المجاهدين أعلم بمن نجح في الاستجابة لأمره ممن تنطع وتفلسف وسقط في وحل التبرير والتخذيل والإرجاف.. وإن الجيل الجهادي الذي نتحدث عنه اليوم قد تخلص من الكثير من الأغلال التي كانت تعرقل مسيرة أجيال سبقت، وقد تشرب من معين نقي صافي، يمكنه أن يستشعر القوة في كل خطوة يخطوها في سبيل الله، ولهو الأقرب لسقف النجاح من غيره من أجيال، وكفى به نجاحا إعداد جيل جهادي نقي صافي ولد من رحم المحنة والإعداد!

ثم إن السعي إنما يكون للعمل ابتداء لا للمجد .. فإن أقواما تحدثوا عن المجد وانشغلوا به عن العمل فقبعوا في أمكانهم لم يتحركوا شبرا.. أما المسابقون في الخيرات الحريصون على العمل يطأون ثريا المجد ولم ينشغلوا به بل كانوا يستهدفون العمل كونه الأثقل في الميزان والسبب الأول في الفلاح.. فكافأهم الله بالمجد!

وأما النجاح في عين الأم فلم أر أفخر من أم حفظ ابنها كتاب الله، وأتم تدريبه وأتقن اختصاصه ثم انطلق يحتاجه المجاهدون ويطلبونه يسد الثغر، وأما نجاح الأب فلم أر أقر عينا من أب وجد أبناءه على خطاه يتبعون الأثر ويتوارثون العهد في نصرة الإسلام. كما لم أر أسعد قلبا من مجاهد، بات قرير العين يرى في المنام

المبشرات بعد يوم حراسة ورباط أو رجع من غزوة وقد أبلى البلاء الحسن وعرف معية الله وتأييده له فكان أن سجد لله يحمده ويشكره وكأنه ملك العالم كله!

فإن قال أحدهم هذا نجاح فردي نريد نجاحا على مستوى الأمة لقلنا، أولا يكفيك أن هذه الأراضي التي يسيطر عليها المجاهدون لا تطأها قدم كافر، ولا تقام فيها إلا شريعة الله ولا يعرف أهلها الذلة والصغار ويحسب لها الكفار ألف حساب، ألا يكفيك أن خلال عقد من الزمن انتشرت القوى الجهادية في كل مكان في الأرض تهدد قوى الكفر حتى أصبحت المواجهة بين الفسطاطين تحمل عنوان حرب عالمية جديدة ضد فئة مجاهدة لا دولة ولا نظام! فهذه الثلة التي تزدري أيها المنتقد أو المبخس، هي التي حركت لها حكومات الغرب الجيوش تماما كما تحركها ضد الدول عظيمة التسليح والقوى .. ورفعت لأجلها سلم الخطر وخصصت لها الأحلاف فضلا عن مراكز الاستخبارات والدراسات والبحث واستنزفت الأموال. فلو لم تكن خطرا حقيقيا عليهم وتأثيرا قويا يواجههم سيسلبهم هيمنتهم، ولو لم تكن بداية مثمرة لعودة إسلامية قويّة، لما ثارت قوى الشرّ عليها بهذا الشكل.

ثم ألا يكفيك أن رسول الله – ﷺ– قد بشر الأمة بأن هذا الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن من يقوم عليه من الفئة المنصورة، فما يضرك أن يبقى جزء من الأمة يرابط على ثغورها يغيظ ذلك الكافر في وكره!

قال أبو الطيب المتنبي

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما تحت النجوم

فطعم الموت في أمر حقير   كطعم الموت في أمر عظيم

وإن كان هناك "فشل" فليس بسبب من جاهد بل بسبب من خذل، والأصل أن تطلق حملات التحريض والتعبئة من كل الجهات لتوحيد الأمة قاطبة ولحمها بطليعتها المجاهدة، مع التصدي لكل دعوات التفرقة والتشتيت والعبث، هنا سنقطف ثمار تلك التضحيات بسرعة قصوى، ولكن ركب الأمة لا زال متأخرا في استيعاب هذا الأمر بسبب تأثير سحر فرعون وقوى الشر المتسلطة على رقابهم.. وبسبب حب الدنيا وكراهية الموت.

إن النجاح ليس في قيام دولة تسعى لرضى الغرب الكافر أو بناء حصون وأبراج والقوم يدفعون الجزية للكافر! إن النجاح هو أن نتبع تعاليم شريعتنا ووصايا نبينا –ﷺ– لتكون كلمة الله هي العليا، ولا نجادل فيها كما جادلت بنو إسرائيل فقست قلوبهم ثم كانوا الملعونين، بل النجاح أيها الباحثون عنه هو أداء ما أمر الله به والسعي للخير في أي مكان وكل فرصة ممكنة، ولا يرتبط بثناء البشر فهم يثنون على الصالح والطالح بحسب المصلحة، وإنما هو مرتبط بموافقته للكتاب والسنة وإن طال أمد الاستجابة والفتح العظيم لهؤلاء المرابطين.

وإن معايشة واقع المجاهدين يختلف تماما عن نظرة أولئك الغائبين في معترك الحياة وقد تأثرت أبصارهم بسحر فرعون، ذلك أنهم لم يعرفوا طبيعة هذه المواجهة وحقيقة النجاح الذي يطالبون به، ولم يذوقوا لذة الانتصار ومعيّة الإله ضد الجبابرة والطغاة .. وإن هذه الأمة مبشرة بنصر عظيم لن تقيمه سواعد اعتادت النوم والكسل

وحياة الدعة والغفلة، تنشغل بالحديث أكثر من العمل.. بل تقيمه سواعد ألفت الهجرة والجهاد منذ فتحت أعينها على الحياة وقلوبها معلقة بما آمنت به بالغيب، قد حلّت المعادلة المحكمة للصراع بمفتاح الشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله لعباده واعدا إياهم بالتمكين والنصر وفي هذا بلاغ للعابدين.

فالحمد لله أن أرانا جيلا زاخرا من فتية آمنوا بربهم منهم من بلغ فبدأ العطاء، ومنهم من اقترب ونال من الإعداد، ومنهم من قطع شوطا لا يستهان به.. أقبلوا لرضا ربهم، ونصرة أمتهم لا تشغلهم شاشات تلفاز ملون ولا أغاني وموسيقى طرب مضلل، أحلامهم عظيمه واهتمامتهم نظيفة، تحدوهم آي الرحمن وتسليهم أشعار الجهاد، وتؤنسهم قصص المجاهدين عبر الأزمنة والعصور، فطوبى لأمتهم بهم.

وفي الأخير، فقد وعدنا الله ورسوله – ﷺ – بالنصر والتمكين والخلافة على الأرض، ووعدنا فسطاط الكفر بالهزيمة والفشل والاستعباد في الأرض، فآمنا بوعد الحق، وكفرنا بصنم الكفر، وبإسلامنا وإيماننا قد سمونا على مادية الأرض.. واستعددنا لما هو جدّ .. ونفسنا طويل في الصبر.. ثم لما الاستعجال فلا زال بيننا وبينهم الجمع والملاحم .. ولا زال بيننا وبينهم عمران بيت المقدس وفتح بلاد الروم.. فانتظروا معنا إنا منتظرون.

❖ وصايا أخيرة:

تأملت في حياة الهجرة والجهاد سنينا طويلة فأدركت أن الوصية هي خير ميراث، وحين نتصفح كتب السابقين ممن كتب في هذا السباق، نشعر بوطأ كلماتهم وأثرها على قلوبنا، ويأتي هذا في وقت لا يزال فيه وقع آيات القرآن التي تتناول الجهاد والهجرة والموت في سبيل الله هو الأكبر والأعظم أثرا، وإنه لمن الأمانة أن نسجل فيما يلي بعض الوصايا، لحفظ الغزل واستمرار النجاح وتوارث النصيحة وتحريض المؤمنين.

- إن هذا الجيل المجاهد الذي بدأت تتسع شريحته وتتضح نباغته وتقبل بشائره لجدير بالحفظ والعناية والحرص، فلا ينقض الغزل ولا تلوث هذه الأنفس الطيبة المقبلة بفتن الزمان ولا تشغل بما حط من اهتمام، بل تغذى برحيق الهمم وتحرّض بحكيم الكلم، وتدفع للأمام بيقين لا ينضب وإيمان لا ينقص.

- إن الصبر منّة عظيمة في المسيرة الجهادية وركن لا يتجزأ من أعمدة الجهاد .. وتلقينه الطفل المجاهد بالتدريج منذ الصغر لهو من أهم أهداف التربية الإسلامية القويمة.

ألا بالصبر تبلغ ما تريد وبالتقوى يلين لك الحديد

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –:

اصبر على مضض الادلاج في السحر

وفي الرواح إلى الطاعات في البكر

إني رأيت وفي الأيام تجربة

للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يؤمله

واتصحب الصبر إلا فاز بالظفر

- لا يمكن أن نربي جيلا بدون قدوة يقتدي بها ولا يمكن أن تكون القدوة من التاريخ فحسب بل لابد أن نكون نحن أيضا قدوة .. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف 82]، فليحرص كل منا على استقامته وعلى جهاده لنرى ثمرات هذا الحرص في ذرياتنا وفلذات أكبادنا ولا يعني أن نكون القدوة أن نكون العلماء، قال ابن باديس – رحمه الله– : "مهما فاتك من العلم فلا يفوتنك من العمل" فالعمل هو المقياس بين القدوات.

- لم يترك الرسول - ﷺ - أمراً صغيراً كان أم كبيراً يتعلق بسلوك المسلم إلا وقدم لنا فيه خير منهج فلا أفضل من تعويد الطفل السنة منذ الصغر في كل تصرفاته وسلوكاته وحركاته وسكناته.. ولا للتسويف.

إنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

وينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وقد نبه العلامة ابن القيم - رحمه الله- على أهمية التربية منذ الصغر فقال في كتابه تحفة المودود في أحكام المولود: " وكم من أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وأعانه على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء".

- على المربي والمعلم أن يدرك أن مراتب العلم ستة: (حسن السؤال – حسن الانصات والاستماع – حسن الفهم – الحفظ – التعليم – والعلم بهذا العلم) فليحرص عليها ولا يهمل أيا منها ليرى ثمار بذله بهيّة.

- إن ما نقدمه لأبنائنا في ثغر التعليم ليس مجرد وظيفة لتحقيق مصلحة ذاتية وكفى، بل كل ما نقوم به مرتبط ارتباطا وثيقا بمبادئ الإسلام السامية وأخلاقه الراقية، فلا ينحط الممتحن ولا يتراجع ولا تفتر همّته مهما اشتدت

لأواء الطريق وقست الظروف وزاد الابتلاء.. بل إن الضربات القوية تصقل الحديد وتهشم الزجاج، فلنكن تلك المعادن القوية التي لا تزيدها المحن والتجارب إلا صلابة ولمعة.. ثابتين لله وفي سبيل الله لا نتاجر بمبادئنا ولا نسرف في ردودنا فتخرج عن حدود الله لنكون ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [النور_23].

- إن لم يتواضع الكبار للصغار لن نرى بركة التراحم في مجتمع مرابط، يقول الشافعي -رحمه الله-: "أرفعُ الناس قدرًا من لا يرى قدرَه، وأكبر النّاس فضلاً من لا يرى فضلَه" ولقد كان شيخ المحدّثين أبو موسى المدينيّ – رحمه الله – يقرِئ الصبيانَ الصغار القرآن في الألواح مع جلالةِ قدرِه وعلوّ منزلته. فليقدم الكبار المثال وليقتدي الصغار بذلك.

- قال مصطفى السباعي – رحمه الله – :" من تعلق قلبه بالدنيا لم يجد لذة الخلوة مع الله، ومن تعلق قلبه باللهو لم يجد لذة الأنس بكلام الله، ومن تعلق قلبه بالجاه لم يجد لذة التواضع بين يدي الله، ومن تعلق قلبه بالمال لم يجد لذة الاقراض لله، ومن تعلق قلبه بالشهوات لم يجد لذة الفهم عن الله، ومن تعلق قلبه بالزوجه والولد لم يجد لذة الجهاد في سبيل الله، ومن كثرت منه الآمال لم يجد في نفسه شوقا إلى الجنة".. وأضيف لها .. من تعلق قلبه

بالجهاد لم يجد لذة في القعود ومن تعلق قلبه بنصرة الأمة الإسلامية لم يجد قلبه لذة في اللهو والتسلية ومن تعلق قلبه بحياة الهجرة والجهاد لم يجد قلبه لذة في حياة الدنيا الدنية ..

- لا يعني أن شبّ الطفل وأنه أصبح قادرا على تحمل الأعباء والجهاد في سبيل الله أن تنتهي المتابعة والمحاسبة.. يقول ابن القيم –رحمه الله–: "ونور الحكمة هاهنا هو العلم .. الذي يميز به بين الحق والباطل .. والهدى والضلال .. والضار والنافع .. والكامل والناقص. والخير والشر .. ويبصر به مراتب الأعمال .. راجحها ومرجوحها .. ومقبولها ومردودها .. وكلما كان حظه من هذا النور أقوى .. كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم"، فلابد من حفظ هذا الزرع بمحاسبة ومتابعة ورعاية مستمرة.

- قال الذهبي – رحمه الله–: "العلم ليس هو بكثرة الرواية ولكنه نور يقذفه الله في القلب وشرطه الاتباع والفرار من الهوى والابتداع" فلا يحرص المعلم على كمّ الحفظ بل على مقدار الفهم الذي يعكس تلك البصيرة التي هي ذاتها العلم والعلم البصيرة وبها يتمايز المتعلمون.

- يفد لأراضي الجهاد مهاجرون من كافة الاختصاصات ومنهم من يتميّز عن غيره بما يندر عند الآخرين، فعلى القيادة الجهادية أن تستغل هذه الطاقات في تعليم الجيل الفتي، وأن تستقطب الكوادر الذين يحملون علوما وفنونا ورياضات تفيد في تطوير معارف صغارنا، ولو تم تخصيص دورات لمدة أشهر بحسب مستوى الدورات وأعمار الطلبة، للتعليم والإلهام والتطوير والتجديد على أيدي أهل الخبرة والمعرفة لكان في ذلك تأثيرا مباشرا نافعا بلا شك في أجيالنا الجهادية الصاعدة.

- قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (197) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198)﴾ [آل العمران].

إن هذه الآيات العظيمة ليقف أمامها أهل الهجرة والجهاد بخشوع ورجاء.. كيف لا وفيها خلاصة سعيهم إن صدقوا وفيها وصف حالهم إن ثبتوا وفيها ذكر من ربهم إن تدبروا، ومن يتأمل في تفسيرها في الظلال يجد العلامة سيد قطب يفصلها ببلاغة عجيبة وجب اقتباسها في هذه الصفحات.. حيث

جاء في تفسيره: " { فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم . . من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض } ؟؟ إنه ليس مجرد التفكر ومجرد التدبر. وليس مجرد الخشوع والارتجاف. وليس مجرد الاتجاه إلى الله لتكفير السيئات والنجاة من الخزي ومن النار . . إنما هو « العمل » العمل الإيجابي، الذي ينشأ عن هذا التلقي، وعن هذه الاستجابة، وعن هذه الحساسية الممثلة في هذه الارتجافة. العمل الذي يعتبره الإسلام عبادة كعبادة التفكر ، والتدبر والذكر والاستغفار، والخوف من الله، والتوجه إليه بالرجاء. بل العمل الذي يعتبره الإسلام الثمرة الواقعية المرجوة لهذه العبادة، والذي يقبل من الجميع: ذكرانا وإناثاً بلا تفرقة ناشئة من اختلاف الجنس. فكلهم سواء في الإنسانية – بعضهم من بعض – وكلهم سواء في الميزان .

ثم تفصيل للعمل، تتبين منه تكاليف هذه العقيدة في النفس والمال؛ كما تتبين منه طبيعة المنهج، وطبيعة الأرض التي يقوم عليها، وطبيعة الطريق وما فيه من عوائق وأشواك، وضرورة مغالبة العوائق، وتكسير الأشواك، وتمهيد التربة للنبتة الطيبة، والتمكين لها في الأرض، أياً كانت التضحيات، وأياً كانت العقبات: { فالذين هاجروا، وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي، وقاتلوا وقتلوا. لأكفرن عنهم سيئاتهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار . ثواباً من عند الله، والله عنده حسن الثواب }. وقد كانت هذه صورة الداعين المخاطبين بهذا القرآن أول مرة. الذين هاجروا من مكة، وأخرجوا من ديارهم، في سبيل العقيدة، وأوذوا في سبيل الله لا في أي غاية سواه، وقاتلوا وقتلوا . . ولكنها صورة أصحاب هذه العقيدة في صميمها ..

في كل أرض وفي كل زمان . . صورتها وهي تنشأ في الجاهلية – أية جاهلية – في الأرض المعادية لها – أية أرض – وبين القوم المعادين – أي قوم – فتضيق بها الصدور، وتتأذى بها الأطماع والشهوات، وتتعرض للأذى والمطاردة، وأصحابها – في أول الأمر – قلة مستضعفة . . ثم تنمو النبتة الطيبة – كما لا بد أن تنمو – على الرغم من الأذى، وعلى الرغم من المطاردة، ثم تملك الصمود والمقاومة والدفاع عن نفسها. فيكون القتال، ويكون القتل . . وعلى هذا الجهد الشاق المرير يكون تكفير السيئات، ويكون الجزاء ويكون الثواب.

هذا هو الطريق . . طريق هذا المنهج الرباني، الذي قدر الله أن يكون تحققه في واقع الحياة بالجهد البشري، وعن طريق هذا الجهد، وبالقدر الذي يبذله المؤمنون المجاهدون في سبيل الله. ابتغاء وجه الله.

وهذه هي طبيعة هذا المنهج، ومقوماته، وتكاليفه . . ثم هذه هي طريقة المنهج في التربية، وطريقته في التوجيه، للانتقال من مرحلة التأثر الوجداني بالتفكر والتدبر في خلق الله؛ إلى مرحلة العمل الإيجابي وفق هذا التأثر تحقيقاً للمنهج الذي أراده الله.

ثم التفاتة واقعية إلى الفتنة المستكنة في المتاع المتاح في هذه الأرض للكفار والعصاة والمعادين لمنهج الله . . التفاتة لإعطاء هذا المتاع وزنه الصحيح وقيمته الصحيحة، حتى لا يكون فتنة لأصحابه. ثم كي لا يكون فتنة للمؤمنين، الذي يعانون ما يعانون، من أذى وإخراج من الديار، وقتل وقتال.

{ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل . . ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد. لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها نزلاً من عند الله . وما عند الله خير للأبرار } . . وتقلب الذين كفروا في البلاد، مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحيك في القلوب منه شيء لا محالة. يحيك منه شيء في قلوب المؤمنين؛ وهم يعانون الشظف والحرمان، ويعانون الأذى والجهد، ويعانون المطاردة أو الجهاد. وكلها مشقات وأهوال، بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون! . . ويحيك منه شيء في قلوب الجماهير الغافلة، وهي ترى الحق وأهله يعانون هذا العناء، والباطل وأهله في منجاة، بل في مسلاة! ويحيك منه شيء في قلوب الضالين المبطلين أنفسهم؛ فيزيدهم ضلالاً وبطراً ولجاجاً في الشر والفساد.

هنا تأتي هذه اللمسة : { لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل . ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد }. متاع قليل . . ينتهي ويذهب . . أما المأوى الدائم الخالد ، فهو جهنم . . وبئس المهاد!

وفي مقابل المتاع القليل الذاهب جنات . وخلود . وتكريم من الله : { جنات تجري من تحتها الأنهار } . . { خالدين فيها } . . { نزلاً من عند الله } . . { وما عند الله خير للأبرار} . .

وما يشك أحد يضع ذلك النصيب في كفة، وهذا النصيب في كفة، أن ما عند الله خير للأبرار . وما تبقى في القلب شبهة في أن كفة الذين اتقوا أرجح من كفة الذين كفروا في هذا الميزان . وما يتردد ذو عقل في اختيار النصيب الذي يختاره لأنفسهم أولو الألباب!

إن الله – سبحانه – في موضع التربية، وفي مجال إقرار القيم الأساسية في التصور الإسلامي لا يعد المؤمنين هنا بالنصر، ولا يعدهم بقهر الأعداء، ولا يعدهم بالتمكين في الأرض، ولا يعدهم شيئاً من الأشياء في هذه الحياة . . مما يعدهم به في مواضع أخرى، ومما يكتبه على نفسه لأوليائه في صراعهم مع أعدائه.

إنه يعدهم هنا شيئاً واحداً هو { ما عند الله }. فهذا هو الأصل في هذه الدعوة. وهذه هي نقطة الانطلاق في هذه العقيدة: التجرد المطلق من كل هدف ومن كل غاية، ومن كل مطمع – حتى رغبة المؤمن في غلبة عقيدته وانتصار كلمة الله – وقهر أعداء الله – حتى هذه الرغبة يريد الله أن يتجرد منها المؤمنون، ويكلوا أمرها إليه، وتتخلص قلوبهم من أن تكون هذه شهوة لها ولو كانت لا تخصها!

هذه العقيدة: عطاء ووفاء وأداء . . فقط. وبلا مقابل من أعراض هذه الأرض، وبلا مقابل كذلك من نصر وغلبة وتمكين واستعلاء . . ثم انتظار كل شيء هناك!

ثم يقع النصر، ويقع التمكين، ويقع الاستعلاء . . ولكن هذا ليس داخلاً في البيعة. ليس جزءاً من الصفقة. ليس في الصفقة مقابل في هذه الدنيا. وليس فيها إلا الأداء والوفاء والعطاء . . والابتلاء . .

على هذا كانت البيعة والدعوة مطاردة في مكة؛ وعلى هذا كان البيع والشراء. ولم يمنح الله المسلمين النصر والتمكين والاستعلاء؛ ولم يسلمهم مقاليد الأرض وقيادة البشرية، إلا حين تجردوا هذا التجرد، ووفوا هذا الوفاء:

قال مُحَّد بن كعب القرظي وغيره : « قال عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعني ليلة العقبة (ونقباء الأوس والخزرج يبايعونه – صلى الله عليه وسلم – على الهجرة إليهم) : اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: " أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم " . قال : فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: " الجنة " . . قالوا : ربح البيع . ولا نقيل ولا نستقيل » .

هكذا . . « الجنة » والجنة فقط لم يقل: النصر والعز والوحدة. والقوة. والتمكين. والقيادة. والمال. والرخاء – مما منحهم الله وأجراه على أيديهم – فذلك كله خارج عن الصفقة!

وهكذا . . ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل . . لقد أخذوها صفقة بين متبايعين؛ أنهي أمرها، وأمضي عقدها. ولم تعد هناك مساومة حولها!

وهكذا ربى الله الجماعة التي قدر أن يضع في يدها مقاليد الأرض، وزمام القيادة، وسلمها الأمانة الكبرى بعد أن تجردت من كل أطماعها، وكل رغباتها، وكل شهواتها، حتى ما يختص منها بالدعوة التي تحملها، والمنهج الذي تحققه، والعقيدة التي تموت من أجلها. فما يصلح لحمل هذه الأمانة الكبرى من بقي له أرب لنفسه في نفسه، أو بقيت فيه بقية لم تدخل في السلم كافة ." اهـ.

قلت: فسبحان من أجرى هذه الكلمات على لسان عبده سيد، وسبحان من وحدّ القلوب المؤمنة المجاهدة في آفاقها الانسانية الرحبة .. في فهمها وإدراكها وتصوراتها ومعايشتها لهذه الآيات بأبعادها ومدلولاتها... فيا رب جد بالمغفرة والقبول.

وختاما.. كانت هذه قبسات من أخبار وقصص الجيل الجهادي الصاعد ومجموعة من الوصايا والتذاكر هي خلاصة تجارب ومتابعات استخلصت من قلب محاضن الرجال في قلب الهجرة والجهاد، نسأل الله أن ينفع بها وأن يلهم بها وأن يجعلها عملا صالحا نافعا ومتقبلا.

وما كان من صواب فمن الله وحده سبحانه وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى أهله وصحبه أجمعين.